من أحاديث السَّمر

من أحاديث السَّمر

تأليف

د. سمر مطير البستنجي

الطبعة الأولى

1438 هـ- 2016م

المملكة الأردنية الهاشمية

رقم الإيداع لدى دائرة المكتبة الوطنية

2016/12/5575

سمر مطير البستنجي ،

من أحاديث السمر / سمر مطير البستنجي .- دار زهران للنشر والتوزيع، 2016.

( ) ص.

ر.أ. :2016/12/5575

الواصفات://الشعر العربي // العصر الحديث /

المتخصصون في الكتاب الجامعي الأكاديمي العربي والأجنبي

دار زهران للنشر والتوزيع

تلفاكس : 5331289 – 6 – 962+، ص.ب 1170 عمان 11941 الأردن

E-mail : Zahran.publishers@gmail.com

www.zahranpublishers.com

بسم الله الرحمن الرحيم

"مسلّمة لا شِيَة فيها"

الإهداء..!

الى الروح السابحة في ملكوت مخيلتي :

ولأني امراة برجوازية الذوق

تاه كلي فيكَ وبك...

وحيث أني اتخذتكَ جميع العالمين

فاسمح لي أن أضمّكَ الى قافلة أشيائي السعيدة

وأن أشدكَ الى قلبي بحرير ظفائري المسكونة بغنَج الياسمين...

فامكُث في ديار روحي الى ما لا يعلمون..

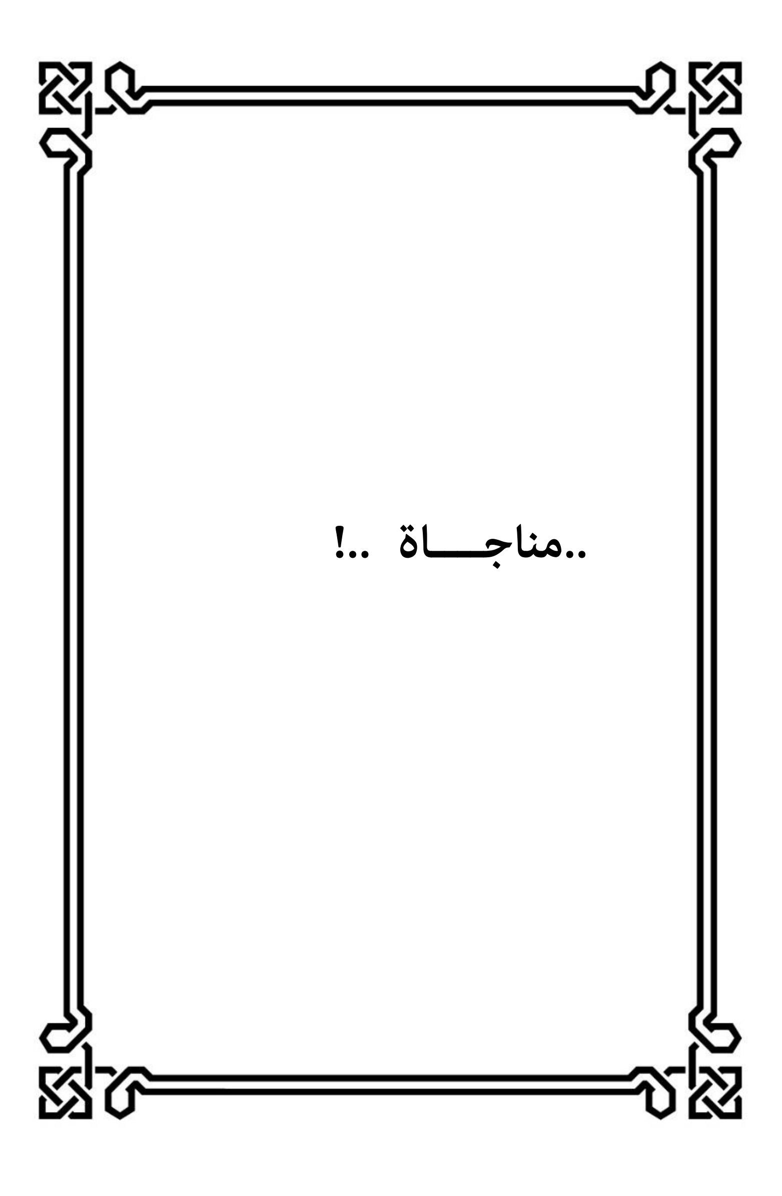
امكث ؛ إن كنت تتوق لاستشعار انتصارات شوقي اليكَ ماثلة في رفيف رسائلي

وهي تسعى غواية اليك

ودعني:

دعني أشتم قرنفل حضوركَ بين حروفي كلما حلّ في أرجائي إيقاع همسكَ

يا أميري المقيم سرّا في مملكة روحي السّرمدية .



..مناجـــاة ..!

مناجـــــاة ..!

ربااه!..

عبدك بين يديك..

قد أتاكَ راهبا من سخطكَ راغبا في مرضاتكَ..

فــ يا من قلت لمن ناداكَ لبيكَ وسعديك:

إذَنْ لبَردي بالانقشاع بذكرك...وأذِب بدفء الإيمان جلمود قلبي...وفجّر عيوني بسخاء دمعٍ يهبط من خشيتك ،واسلكه سيولا في أوعيتي... ملحا أُجاجاً يطهر نُسغ أوصالي...ودع دماء أوعيتي بحبك تزداد نزفا...

يا الله!..

ساعدني لأصَّعَد في ملكوت الطهر عفافا لا قُبح فيه، واصهر بمشكاة نوركَ صَلد أوردتي ،

ودع ماء الطُهر يتسربل في أجزائي ذرّة ذرّة ، قبل أن تتجمّد في رضاك مَساعيه.

الهي!

إني رأيت صباح الدنيا مشرقا..وفي أُنثاها صَبابتي..فلا تجعلني إليها صابئا أوّابا ..

واكسر بَريقها الزّائف في عينيّ ..والق عليّ بردة الوضوح لأرتدّ بصيرا..وأقِد نجم هدايتي

ولا تجعلني من الآفلين...واسرح قناديل قلبي باليقين...وزدني اللهم لبهجتها قنوطا.

يا من يحي العظام وهي رميم!..

قد تمادى بياض المَشيب على حقول اسودادي...وأغرقني من شِعاب قلبي حتى تخوم رأسي...

فلا تجعله شَماتة تسرّ الناظرين، وهب لي منه حكمة وعظة وزدني به وقارا..

اربط اللهم جَأش قلبي وارزقني الثبات في ديار شيخوخة وقورة حتى لا تزلّ قدم عن قدمٍ..

ولا تحطّم قوّتي على صخرة الخَرف..ولا تَردّني الى أرذل العمر يا رحمن..

وأخرجني من دنيايَ بشرفٍ كما أدخلتني مُدخل صدقٍ ، واجعل لي من رضاكَ وزيراً من أهلي
ومن ذرّيتي سُلطاناً نصيرا...ولا تَذرني فردا واجعل عملي الوارث مني..فمشكاة نبضيَ تَضمحلّ..
والعمر يزحف سِراعاً نحو التلاشي...فحِل بيني وبين رَدمة السوء ،فلقد أتيتُكَ راجياً وفي جُعبتي قلباً تائباً أوّاباً
وركعتان..وأملاً بعفوٍ يَسبق غضبك..فلا تَخذلني بسوء مُنقلبٍ وبئس مصير.

يا من جعلت من الماء كل شيء حيّ!...
فوضى الطين في جسدي يجنح بي نحو القَسوة... فـ ابريء اللهم سقم قلبي من داء الخَواء ،
وابسط ملامحي بعد عبوسٍ..وأفِض عليّ من بركات اسمك الرحيم ..ولا تجعلني من الذين قَسَتْ
قلوبهم فهي كالحجارة أو اشدّ قَسوة.. وأغدق عليّ من كواثِر رحمتك ماءاً يُفجّر طينيَ الأصمّ..
ويُحيي عِجاف أصولي ويُعيد تشكيل ما جنحَ من أجزائي نحو الانجراف.

أمطرني يا الله بفيضٍ من وَدق رحمتكَ ...مطرا مِدرارا غيثا مُغيثا لا سُقيا عذاب..
واغسلني من أدرانٍ تُحيل أبيضي لسوادٍ يُغرقني بطوفان لا ناجيَ منه إلاّ من أتى الله بقلبٍ سليم .
وأذَن بقدرتك كي يُقلع جارفاً أوزار زرعٍ اصفرّ على سوقِه في أرضي البَوار..
وببقايا هشيم نَبَتَ من زَقّومٍ آدميّ.

مولاي!

بي بعضٌ من مَسّ الهوى..فلا تكلني الى سُلطانه طَرفة لذّة..ولا تجعلني في سماوات أحلامي

شَهوة غربانٍ سود... فاني خلعتُ ثوب مَعصيتي الى ما تحت جلدي بظلماتٍ ثلاث..

فَتَقّ ثوب قلبي من الأدران..فاني أخشى أن تَفضحني بُقع المعاصي ،

فواري بسترك سؤات رجسي واعتق بمسك عفوكَ رائحة ذنوبي..

فاني أستغفرك اللهمّ يا عظيم...

أستغفـــــــــــرك اللهمّ يا عظيم..

أستغفـــــــــــرك اللهمّ يا عظيم..





فــ لتُدرك أنّي أنثى!

فـــ لتُدرك أنّي أنثى!

أنثى أنا..!

وليَتك تَعي يا رجلا مفتونا برجولته من أنا:

أنا إرادة الإكتمال في أيقونة تكوينك....نجوى الأنهار الخالدة في جَواك ..و...ثرثرات البراكين في فيحاء رجولتك..و..آي التجلّي وقت تشتكي افتقار الدُجى للضيّ...

أنا حكاية هذا الكون سلسلة الإرتقاء...روح البقاء في غريزة قرارك..

على صِبايَ درج النوار و شقشق الكَنار ، و تهجّت الشمس من بَهرجتي سرّ الاحتراق.....على كفوفي تكاثرت النجوم وأقيمت أعراس القمر...ومن الأثير العابق بشذايَ الأنيق قد عاثت انوثتي فسادا ببواطن رغيتك، وفتنة البنفسج المَخمور في رؤاكَ هي بعضي من كلّي لديك.

فان كنتُ في قاموس رجولتك وَمضة قد أسرى بها نَواكَ بعد التلاقي نحو الإنطفاءِ فحسبُكَ..

حسبكَ!

وحسبكَ غرورا إن ظننت َبأنني:

إن ظننتَ بأنني سأنام في قَبو غيابك وحيدة ملء اللَظى..أصنعُ لحين إيابك من قمحيَ خُبزكَ المُشتهى... وامسح عَرق الذكرى المجبول بضَوع بَهاك..أبحث عنك في ذرّات عطرك الأغلى وفي سواقيَ الدموع. ..أُصغي السمع لخُطاكَ القادمة بِبشارة الأفول..أو أنني سأداوي بغواية همسك حواسّيَ المطعونة بظنّك...أو أبيت في جدالٍ مع غِصّتي التي تَمرح في عَراء منفاك، ثم أغنيك ذات وهنٍ معزوفة شوقٍ مُعتلّ الختام.

فيا أيها الرجل القابع في عُمق الكبرياء، في بَهو الغيّ، المتنصّل سيف التباهي:

أستميح رجولتك عذرا لأفهمها بأنني أنثى..

انثى أقوى من احتمالات رجولتك..من سخطك من غضبك من تعاليك من نيران ثورتك...من تطاولك على وهني ، من زعمك القدرة على التخلّي والنسيان..

فيوما ما ستشتهيني عبثا؛ جنونا يَطيش بك..ستشتاقني ذات سغبٍ وحين يتوعّدك الليل بشَعريَ الأسود وبكحل عينيّ..ووقت يُغريك نخيل أفيائِك بقديّ الميّاس..وحين يعبث الصباح بفوانيس الذكرى ستحترق بي..ولمّا يدانيك مسّ الغَسق ستبكيني..وحين تفرّ من بين أناملك طيور الكلمات ستُناديني لأنظم لك ياقوت الحروف وأسرج قناديل المعاني وألظِم عقود قوافيك ..

ستبحث عني ذات ليلكٍ في فيروزيّة السماء في لحن الشطآن ..في صوت الناي وشهقة القهوة ،حين يدانيك الشوق لهمسي و يغتالك قلق المساء .

فلتعترف بأني أنيسة هواكَ زمرّدة الحياة...وأنّي المتبوئة المقام الأسنى من عرش مُضغتك ، وأني من ضلعك الرفيق الرقيق قد تكوّنت..

ولتُقرّ بأنني:

أنا الأنثى القويّة المسكونة بآمالٍ طِوال ،النقيّة التقيّة المشحونة برغبة الوِفاق ..سيبوّئني إخلاصي ذات ضحىً مقعدا من أرض الأوفياء..وسأكبر تحت خيام إهمالك كثيرا كي أقوى على حَملِ قديمٍ يَطيشُ ببهجتي..وسأتسرّب في الربيع القادم نِسرينا فاتِك الضَّوع من بين ركامكَ وشقوق البكاء..

فحسبك عليّ تتجنّى..وكفاك تُجاهر بالتحدّي والنفور!

فعبثا تُقصيني الى قِبلة مجنونة الضَّجيج منذورة للهلاك..

فبلا أنا لستَ إلاّ كائنا محنّط الفؤاد مقتول الوداد مسلوب البريق موؤود البهاء..

فلا تحاول متعمّدا قتل ورديَ المُشتهى المزروع في حدائق رجولتك..

ولا تكسر بتعاليكَ قوافيّ المسروجة غزلاً في مهرجانات لياليك...

ولا تسخر من أنوثتي المُراقة في دمك فتنة وابتغاء...

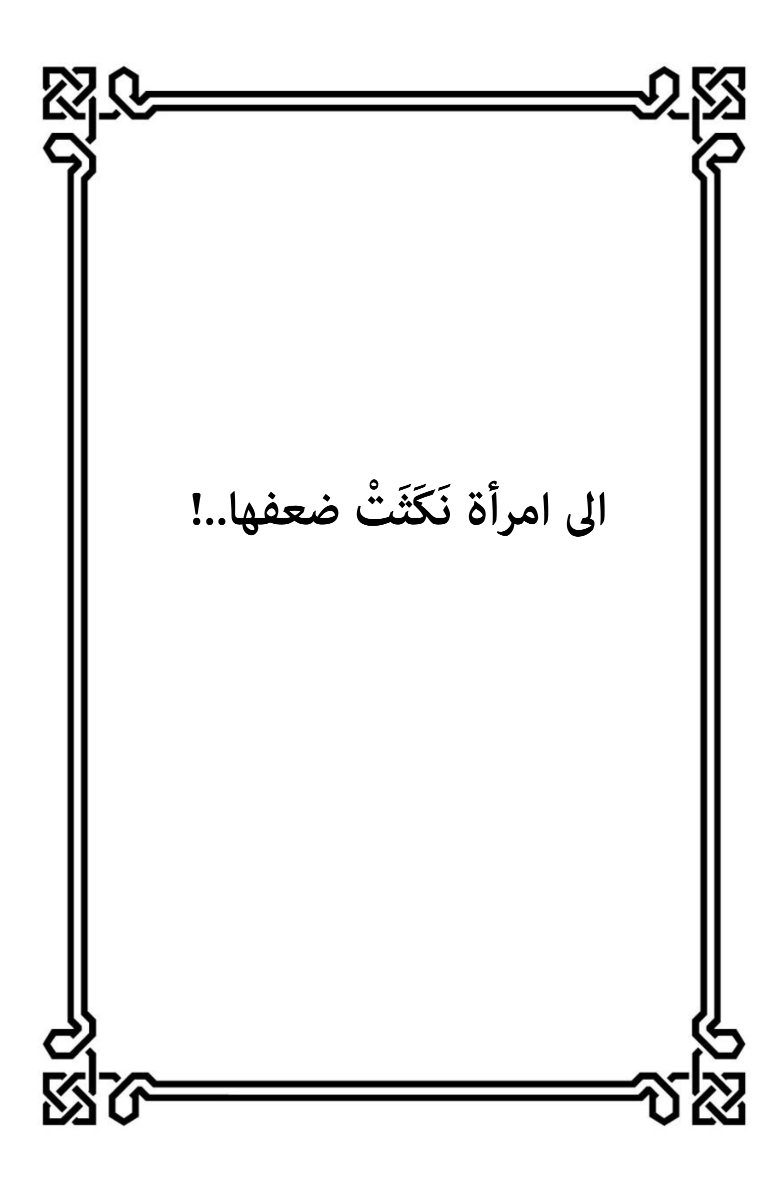
وحاذر أن تكتبني سيرةً لضعيفة عابثة طائشةً خاوية الوجد لَعوب...

ولا تتوعدني بجحيمك...

وحسبك تتجنّى عليّ بامتياز!...

وكفاك عبثا بقلب قدّيستك الرقيقِ كفاك .





الى امرأة نَكَثَتْ ضعفها..!

الى امرأة نَكَثَتْ ضعفها..!

وأمطرتْ دمعا ونار..

فانداح الكون يجرّ خفقاتها شفقا أحمرا بلون الدم المَسفوح على مذابح بهجتها...

وعلى سفوح وحدتها تقاطر برد الروح ؛

أبرد من ثلجٍ يلعق اقدامها..

كل أنوار المساء تعلن في العِتاب حِدادها ، ومطفأة بوهنها أضواء السَحر...

أُجلّها!..

واجله ذاك الكبرياء المذبوح قربانا لصمودها...

وذاك الجَفن الراعف المنسكب دمعا ودما ،

اجلّها أنا!..

تلك التي أشعلت بقايا شمعتها لتتسول بعض ضوءٍ لهَيبتها..

تلك التي ما انفكّتْ تُغربل قمح صبرها كي تصنع مؤونة تُقيم رمق جوع العيد في أقدارها ...

تلك التي صلّتْ في الليل الدجيّ لله عمرا من الدعوات كي يتأذّنَ بالفرج فجرها ،

وكوناً من الرجاء كي تُبرّيء سُقّمها..

و.. انا!..

أحتاجها انا !..

كي تقرّ بقربها عين الأنا

فـ فعاقرٌ بغيابها بردُ الشتاء،

وفي الروح زفرات تعلّقت تحنانا بأقواس السَّماء

أحتاجها ..

كي تقرّ بقربها عين الأنا..

كي تتلو على روحي طقوس الفرح أشجانها

كي تمنحني ليلتي القمراء كؤوس الطَّلا من إثرها

فروحي على روحي تلحّ ودادها

وكلّي على كلّي أهازيج شوقٍ تغني تحنانا لها..

وفي سرّيَ سرّ يقلّب أسرار الجَوى في بعدها..

ونور من خبايا الآه يَعدُني في العشيّ وصالها..

ملائكيّ هذا اليوم بوجودها!..

سماويّ هذا الوقت شامخ كأعناق الفضاء

مجدّل بآيات الشفاء..

فكل إجلالي ، حنيني شوقي واحترامي ، كبريائي كلهم

عنها لها معها ومنها...

وكلّهم؛ كلهم اليّ اليوم برفقتها راجعون

كلهم اليّ بالخير راجعون

كلهم اليّ بعد وهنٍ راجعون.

قدّيس هذا الميلاد بحضورها..

وفنجان السعد طافق بالأماني الخُضر والجِنان المورقات

فدعيني يا أشواقي أعود مني الآن اليّ

دعيني اعود يا بهجتي مني اليّ.

فكلي لريعان ربيعها وجد واشتياق..

فسافر في عيون اللارجعة يا وجع الشقاء...

وسحّي اندلاقاً يا لهفتي بتلاحين اللقاء

وتقطّري يا ورود الروح قداسةً ملء السماء

وهزّ عروش الفرح يا نبضي كي يتساقط النَوح من بُحّتي الخرساء.

فـــ يا صحوة الشوق في ليلتي أنا!..

دعيني أشقّ قميص الضعف قِددا، واتركيني التحفُ قوّتي مَددا،

دعيني أُعيد قراءة الأحلام بهوادةٍ ، ودعيني أَشرب الصبح من أحواض كواثرٍ ونقاء، واتركيني أرتشف الطهر من عينين ما مسّهما الوهن بنسيانٍ وداء..

فروحي على روحي تلحّ ودادها

وليلي على قمري يُسامر ظلّها

وصُبحي على تسابيح الضوء يقرأ وعدها

فلا تحرمني يا مولاي قربها

فكليّ على كليّ يهفو لها

كليّ على كليّ يقف اليوم إجلالا لها.



بلّغوها عني ..!

بلّغوها عني ..!

بلّغوها عني ولو.. قُبلة !

تلك التي!..

أرّقت البَدر وهي تحيكُ ثوباً من الصَّبر لجدّتِها الأرض واستفاقتْ تغسلُ مع النَّدى قلوب الوجع...وما كلّت تروي نسرين الأرض من عَرَقِها المُنسكبِ طُهرا..
و..تشاركُ اليمام المهاجر ألوان الهَنين المُنداح قهرا..

تلك التي!..

ما انفكّت تنافس علياء الشمس بحُمّى الحكايات الشامخة..وتكتبُ على جبين الآفاق قصّة الوجع الأجلّ. هي.. ! من آزرتْ الأرض هَمس طلولِها، فتّسابَقَ الفيروز والندى فجرا لصَوغِ بسمتها ، وتعانقتْ أرواح الغَمام فخرا لصُنع دمعتها..

فانتشى الحقلُ طائعا وهي تُجدّلُ الزيتون ناراً وزيتا...
وارتعشت المواسم لدروسٍ تَكبُرُ الروح كثيراً كي تقرأها..

بلّغوها عنّي ولو.. نَبضَة!

تلك التي!..

أدركتْ أن النار تَشفي حين يشتدُّ الوجع ،فضحِكتْ وقت حقّ عليها البكاء...

تلك التي أَلِفت جمر الخُطى، ولم تُفزعها صيحات الأسى أبدا..وما احترفتْ يوما طِباع اليائسين ، ولا أدمنتْ قطُّ خَمرة الأنين..

بلّغوها حبّي تلكَ الصَّابرة!..

تلك التي دَقَّتْ مسامير الثَّباتِ في نعشّ حالِها وقت هدموا بيوت قريتها ، فطارتْ على جُنح نورسٍ مرتحلٍ تحملُ الخبز دليلاً للتائهين..

تحتطبُ المطرَ من مدن الملح والجليد..

و.. تصلّي..تصلّي لأجل عودة الشمس الموؤدة لبَهو البحر...

تلك التي!..

أيقنتْ أن الموت يبوؤها منزلةً من الحظّ ّعظيم..

فغادرتْ تخاريف الوجع...وأودعتْ رَيعان الحُلمِ أرض التَّحقيق، حتى استحالَ الموتُ على صدرها بردا وسلاما...

وما ضرّها لو انشَطر الألقُ عن ضَحوة صِباها ،أو أترعَ الليل بريقها قَفرا..أو بيعَ عمرها كالترابِ في سوق الخريف، لأجل أن تحيا الكرامة بموتها ،ويستفيقُ على دمعها الماء والخبز والدحنون والقمح ....

بلّغوها عنّي ولو .. دَعوة!

تلك التي..أعادت صياغة الأمومة ومفاهيم الأنوثة..فوحدها من افترشَ للصِعاب سجّادا احمرا، ووحدها من أدرك مفهوم الموتِ قبل الموت،

تلك التي ترى ببصيرتِها ما خلف أسوار القيامة..فتنبّأ حدسُها برصاصةٍ يتبعها خلود ، وباحمرارٍ يتلوهُ اخضرار...

وبوجعٍ يعقبهُ شفاء..

بلّغوها عنّي ولو ...هَمسة!

تلك الساكنة بين المُدى والمَدى..بين الصمودِ والرَّدى..بين النار والنَّوار، تلك التي تَنتزعُ الضِّياء من سِكك الشُهبِ قبل عبورها ،

لتُعلِّقهُ قناديلاً في السَّراديب المكتظّة بصخبِ التائهين.

تلك التي..

تتقاسمُ وليلتها الأحلام الأسيرة في مخيّمات الضَّياع ، والمتناثرات نِسياناً في معتقلات التاريخ...كي يستقيم على فقار الصَّحوة عود الأمل الأعرج....

تلك التي!..في يُمناها رقّة تستفيض..وفي يُسراها سيف من غضب ..وما بينهما امومة تنزفُ الشهيد تلو الشهيد..

ترسمُ بسبّابتِها المبتورةُ خارطة وطنٍ يُطلّ على مشارف الهزيع المُضرّج ببشرى النهار.

سيّدتي:

يا ولّادة التاريخ والأبطال!...

تأجّجي شموخا حُمّي حكايات البطولة..

ووزّعي مناصب الدهشة

كوني خاتمة الحِداد

وكوني قصيدة النور التي يُرتّلها القومُ في شهيق الظلمات

واكتبي سيرة امرأة تحملُ الروح بين وهج نارٍ وحُمّى ظهيرة..

فسلام عليكِ كلما تجلّى النهار على ضِياهُ يتّكيء..

وسلام كلما فاضَ السحاب نُزُلاً على أهل الأرض ...

وسلام عليكِ كلّما دوّنَ التقويمُ مَدداً لأرواحٍ قطعتْ تأشيرة الخلودِ بلا حدود وكلما عدّ القمرُ أسماء الأطفال الباحثين فيه عن امهاتِهم فـ عليكِ صلوات الرضا تُتلى من أوائل كَدرة الشَّرَرِ حتى آخر شَرعِ الإنتصار و..حسبكِ رضوان الله ..وحسبكِ ..أنّ حسبُنا الله على الذين أغتالوا من امومتكِ زَهو الأمومة

حسبنا الله على الذين أغتالوا من امومتكِ زهو الأمومة

حسبنا الله....



..كوني أنثى الكبرياء..!

كوني أنثى الكبرياء..!

سيدتي!

يا بسملة الطُهر وآيات النقاء..

كوني انثى الكبرياء

واعرجي بشموخ حتى السابعة من السماء

واخلدي ما بين النور والنور

هزّي عرائش السحاب...

واغسلي بقداسة الماء وجه الشقاء..

تجاوزي حدّ السكون في جُبّ السُبات

لا تكوني كفتيل أعياه التأرجح في اللهيب

فراح يشهق بآخر أنفاس الحياة

كوني دهشة،وهجا،،جمرا ،

رعدا مجلجلا يبعث الصحوة في الجسد الرُفات

واكتبي في صحائف النور قصّة التحدّي والثبات..

فوثير حضوركِ في ظلّ الملوكية والكبرياء...

يا سليلة العطر وبُنيّة الفضاء!!...

كوني مستحيلا شهيّاً..كعذراء الضياء

في جيدها طوق من بهاء

وفي عينيها أسرار البدر وحكايا الأوفياء

مارسي حقّ السطوع كقمر في وحي المساء

كوني شقيقة الروح من آدم ،يا كُنه روحهِ وقرينة الحياة

ولا تسرفي...

وحاذري من السقوط في وهم القصور المشيّدات من عهن السراب،ومن طين الشقاء

فضلعكِ المعوجّ قوس قزح يشهق بالنقاء

ورحمكِ سنابل طهرٍ،ما طرحت غير الأصفياء..

لا تسرفي...

فتدرككِ شيخوخة الحظّ وعلامات الفناء..

كوني بوحيهم وصلاً لا يُطال ..

وافري عقد الاحتياج..

في الطلّ تجمعي..في رعشة السراب تبعثري

وفي دقائق النور تكوري،،

فانّى لهم الآن أنتِ ،،أنّى لهم...

يا سيدة لا تُطال....

فوثير حضوركِ في ظل الملوكية والكبرياء..

يا ضَيّ هذا الكون وأريج السماء!

كوني انثى الكبرياء....

وإيّاكِ والسقوط في جُبّ الانكسار

لا تكوني حبيسة الوجع،،وتشظّي الرِّياء

لا تهربي من منفىً الى منفى

ونافسي وهج السماء

وكوني ملائكيّة التجلّي،،سيدة النساء

فوثير حضوركِ في ظلّ الملوكية والكبرياء...

يا عشيقة الطهر وأميرة الفضاء!!..

كوني كالكحل في عين المساء

أرق يطوف بأحداق الحالمين الى يوم يُبعثون

كوني كالحلم في كفّ الشمس صعب المنال

اليه تشرئب النفوس في ولهٍ

يطوف العابرون على هشيمه في ذات اشتهاء

غير أنّ الظلّ أولى لهم فأولى ،

من نيل السعير ومن جهد البلاء..

فوثير حضوركِ في ظلّ الملوكيّة والكبرياء...

وثير حضوركِ سيدتي في ظلّ الملوكيّة والكبرياء...





... امرأة من كوكب آخر!!

امرأة من كوكب آخر!!

لا زلت أحلم !!

رغم سنيّ عمري الهـاربات

أن يخرج الليل منكسرا من بحر أوقاتي

كأحداق القنديل وقت يطفيء أطياف العتمة

لا زلت احلم!!

أن أضمّ الأرض الى صدري

أن تعبر روحي الأنهار

وتلافيف الزمن

أن أتسلّق جبال الأحزان

أرسم خرائط الأحلام

على ورق الروح

وبأقلام الشجن

وأتقن فنّ اختصار المسافات

لأتلذذ بصحوة الشوق الى الأعالي

وأتذوق حلاوة العبور للقمم.

لا زلت أحلم!!

أن اسمع في ليالي الخريف غير الحفيف

يمضغ الأوراق ويُعيد

وان اسمع في ليالي الشتاء غير صراخ الريح

في وجه الجليد

وكآبة الغيم الذي يواري دمعه

حدّ الكبرياء

لا زلت احلم!!

أحلم بالربيع الأخضر يشرق في عينيّ

يضاحكني..

يقبلني..

كوجه الشمس وقت الاشتهاء

لا زلت أحلم!!

أحلم بمن يُحيك لي من خياله السّواح بساط ريح

يحملني الى ما فوق حدود الكون

وخلف جفون الغيم

وأسوار الأرق

وفي عينيه آفاقيَ تشرق

وهَمسيَ يستفيض

يحملني على جبينه قدر

ويَرِثُني صَباح...

لا زلت أحلم!!

أحلم بمن يُتقن سرّ الكتابة في الهواء

ويملك حدائقاً من حروف

وكروما من كلمات

فتثور مواويل عشقيَ الليليّ في صدره

فيكتبني قصيدة عصماء..

أو يمنحني دور البطولة

في مسرحيات العشق المباح

أحلم به يخطّ في الأسحار مقامات ليلنا الأزليّ

ويُحيي في عينيّ سلطان الصباح

ولطالما حلمت!!

أن أجد من يلونني بأفكاره

ويسكبني في قوالب معانيه

ويعيد صياغة رسمي

من يقلّبني كالفصول الأربعة

لأزهر بعد البرد

وأثمر بعد الحرّ

وأتمرد بعد الخضوع

ويُبقيني سرّا في الجوانح يختنق

فنتبعثر معا في ممرات العشق

ونتقاسم وحشة الآآلآه

ثم نتّحد

حلمي يحرقني في صمت

يقتات من مشيمتي

ومشاعري عارية لا تَعي فلسفة المسافات

فتكتب النهاية قبل البداية

فكأني امرأة من كوكب آخر

تفتش عن أشياء ثاوية في أعماقها

أشياء تشبهها تماما

طقوسها علوم خفيّة

وفنجانها فيض أسرار

أحلامها شهوة كلام

وانتفاضة ذاكرة

تمارس لعبة الاحتضار

وتهوى غرائب الحكاية .

بين الحلم والحلم امتدت مسافات

وثمة أشياء غريبة استفاقت تعيرني خطواتها

تنثرني امتدادا للحياة يرتسم

وأحلامي لم تزل تراودني

تنهض من تحت رماد أشرعتي

تفتش عن فارس جديد

يَعي أحلامي الغريبة

يمزق ستائر صمتي

ويكتبني رواية



إليكِ يا ابنة خابيتي*..!

إليكِ يا ابنة خابيتي..!

يا رغبة الصِّبا في أرض الروح تأتلف!

يا رؤاي الموشومة بأهازيج الفلق!

مدّي يديكِ لنلتحف الصِبا قبل الغرق

لا تتركيني على أريكة وحدتي يتيما أحتسي القلق...

لا تهددي بالاغتراب!..

فأنا ما شيّعت الربيع في عينيّ..وما اخترت الأفول عن قدرٍ لا محالة يقترب...

يا وليفة التَّوق!

إن كنتُ خريف منكِ قد دنا يصطخب..

فكما خريف هذا الكون مظلوم أنا!

فانا ما قرأت ديمة محمّلة بأنباء الذبول...

ولا اقترفت شهوة الأرض للارتباك ودسّ الخراب بين الفصول..

ولا رشوت كروية الأرض كي تأتي بالخريف..

ولا تحالفت مع الثرى ليفتح مقابره للورق..

ولا قتلت الروح في جسد الشجر..

ولا احترفت قرصنة السفن الخضراء وتجعيد الشفق..

ولا حقنت الغراس بصُفرة الأرق.

ولا فلقت بعصايَ السحريّة هامة السماء ليظهر الجبار* في عين الأفق..

ولا هادنت الريح كي تمزق جلباب السكون وتنثر الغبار في وجه الفلق..

ولا دعوت الأرض لتمارس عقمها فتقطع نسل الزهر والنسرين وتُنبت أشباه الورق..

يا حقولا قبل خريفٍ تولى زرعتها أمنيات من أنتِ!

دعي الإرادة تهزّ ناقوس الكون من ترتيبٍ الهيٍّ دقيق،

فلا تخشَي زوال الألق...

فلا زالت الأرض تقدّس نسلها..وحبلها السُريّ المُمتدّ من عمقها حتى متون الأفق لم يزل يَرِثها شوق البقاء..

فدعيكِ من قلق شيخوختي والغرق..

وتعالَي نكوّر الحزن ؛ ودعينا نربّت على كتفيهِ احتسابا وصبرا ولنصافح الأقدار جهرا..

ألا يكفينا يا ليلايَ أفول ما انبثق؟

فهيا لنحتسي نعيم العمر قبل الذبول والهذيان والأرق...

وهدهديني فرحاً تَمطّى على شطوط عينيكِ

ولملميني في هيكلكِ المسحور..

لأتبرعم في الربيع القادم أصالة وأورقُ كبرياء..

وإلاّ..!

فشرف لي أن أسقط وحيدا كورقة في ذات خريف نقيّ لينبت مكان انصهاري ألف وطن ..ووطن.

ابنة الخابية – الروح

الجبار- نجم يظهر في السماء في فصل الخريف



حديث الروح للأرواح!

حديث الروح للأرواح!

كلما نَقر الليل نوافذ عمري بأنامله!..

أرّقني خوف السَّواد وجرأة الكآبة.. وأفزعني حُكم المَسير نحو المُنتهى ،فأتحايل هباءً على سِكَك المَضيّ.. وأُمسك جنونا بذيل العقرب المتأهِب للسقوط في كوّة الغد، لئلا يَفتك بيوم آخرَ من عمر الصِبا .

كلما نَصب ليَ الليل فِخاخ الذكرى!...

انتشرت في أنحائي رائحة الحبّ المزروع فيّ وجعا..وباغَتني مخاض النّداء،وتوجّع فيّ جنين الكلام ،كتوجّع حناجر الغيم من زمجرة الرعد.

فأمدّد بوحيَ المريض على أسرّة الفضاء...وأفري قصائدي المنظومة أغنيات حزينة في بَهارج حنجرتي.... وأُدلي للفراغ الملتفّ حوليَ بالمكتوم من أسرار الروح العليلة ...وأعترف بأعلى ما تبقّى من وَهني بأني لا زلت أهواه...

وبأن الشوق ما نهض فيّ لسِواه..

ما نهض فيّ الشوق لسِواه.

كلما أغواني الليل بمفاتن السّماء!

شاغلتني عرائس النجوم المُرتديات قمصان السَّهر،

فأتذكرُني..وأتذكر ثوبيَ المشنوق على أعمدة اللقاء ..،

فأتسرّب كنَثيث الحُمّى عبر مسام الحنين لأتفقده ،

فأجده صامدا صابرا شامخا بين أشياء الذكرى ..فيحزنني فتور الرغبة في ياقوت أزرارهِ..وبُهتان اللون في أطراف زركشتهِ..فأنعى حظنا المَخبوء وراء رغبة صائمة..

كلما دكّ الليل دروب ضِياعي بخطاه..

وفاض الظلام عن الحاجة!.....

تخطّفني الفراغ العاري إلاّ من فحيح الذكرى و صوت الآه.... وأصابني دوار من اللاثبات المبثوث في فوضى الظلام..

تنكرني اتجاهاتي وتبتلعني عواصف العَدم .. وكأنما أعلنَت الحِداد على روحي كل ألوان الحياة ..فأسير على غير هدىً الى اللامكان، أبحث عني دروب السائرين الى اللاوجهة..

يلوكني الضياع، ويُرعبني صفير قيامتي الأخيرة...وأتعثّر في حجارة الليلة العمياء....

تتحوصل في مُقلتيْ بؤرة باردة مقفرة تستفزّني للبكاء.. فأبكيني ،وأبكيه!

ذاك الذي منح الليل حقّ التمادى على ضِياعي،وأسكنني عَمدا جُبّ الظلام..

فلا هو افتداني عفوا عند المقدرة .. ولا منحني سبيلا للنجاة..

كلما سكب الليل فيّ شهوة اللقاء!

تأجّجت نار الحنين في أتون مواقدي ، واستفاقت قصصي المغمورة البهاء المذبوحة الوجدان...فأرمقتني وحيدة في الركن القَصيّ من مقاعد البائسين... فكأنما وَلجتُ وادٍ غير ذي زرعٍ من أودية المنفى، قد تحنّطت في شِعابه الأحياء والأضواء

وحدها ..تلك الوِحدة المزروعة في لواعجي من يُتقن لَكنةَ الروح في رَهق الغياب...ووحدها من يقدّر وجع الجسد المنذور لمشيئة الانتظار..

ولمّا تحاصرني أخيلة الظلام ، وأشتهي ضوءً يمرّ بسلام عبر رؤايَ المرصوفة بالسَّراب....! أرمقه في خيالي طيفا مُسرع الخُطى نحو الغياب..

فأناديه.. وألحّ عليه ؛ له طلبا..ولمّا يُعاندني ويأبى!

أمسك ببعض حروفنا الهاربات من خواطرنا الحرّى ومن سِيَرة حبّنا المخطوطة في كتب الأنقياء.. لأكتبها على حوائط الضباب يقينا لا رجعة فيه :

بأنه لا زال رغم النأي قدّيسيَ الأول والأخير.

لا زل قديّسيَ الأول والأخير..

كلما اشتعل حقد الليل على بَياضي!..

استباحت صبايا السَّهر مُستقري ومقامي..

وتسللت تقض مضجعي بأحاديث ليالينا العِذاب...

فأجدني خاوية الوفاض إلاّ منه؛ وذكراه..

تبتلعني ليلتي الصمّاء...فأدور في مدارات عَرضها كذرّة متناهية في الصِغر ...وازرعُني على امتداد محاور الطول طيفا من دخان..حيث الكون ليّ متسع ومنفى..

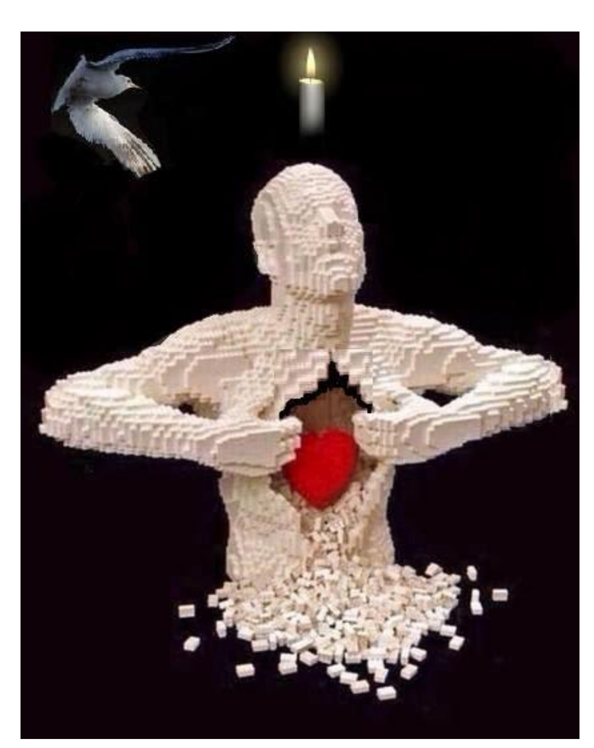
فتتراشقني سهام الوجع ، وتتجنّى عليّ حجارة الزفرات ،وترميني بشوقٍ من سجّيل، وتغرقني بحنينٍ من سَموم.. ثم تذرذرني هباءً منثورا.

أجدني فلا أعرفني ...

فكأنما مارستُ طقس الخروج من جسدي..

لأستفيق بعد وعيٍ على لا شيء...

لأستفيق على لا شيء....





يا بعيد الدار..!

يا بعيد الدار..!

يا سيّد السَّمَر..!

بَعضي لما لديكَ من دفءٍ قرير..

البعد يلثم شاهقي ، ومواقد الغياب بجمريَ تشتعل ، والليل في عرف الشوق حنين ووتر وسمر ؛ واشتياق وخبر، وذكرى غياب .. وهوى.

فكفّ عن النوى..

كفّ عن النوى

فإني لما لديكَ من حبٍّ فقير ..

يا ساكنا مدن الضباب..!

كلي ينام على فقري اليك...

وبعضي لما لديكَ من وصلٍ فقير..

نجم الشباب أرخى جفنه ، والحال يشجب حالتي ، وريح الشوق تنفخ في مجمار قدرتي ، تذرذرني رمادا في مهبّ النَّوى، تدسّني في عميق اليأس جثّة من يَباس .. أُمسك بفارغ الأمل عليّ ولعي ، وفي العينين ارتعاشة ووعيد .. وغصّة أراوغها خشية تنادِ السِقام مُتعللاً بالصَّبر الأكيد .

يا منزلا طاب لي مسكنه..!

منذ مطلع همسي أوقدتُ في طريق هواكَ نجمتين من ألق ، ومنذ نعومة خيالي يمّمتُ شطر الشمس أقطف تِبرها ، وغدوتُ لصبحكَ يمامةً البشائر ، عنقاء تختال على أبواب حكايات الهوى ..فلا تُزجي بمركبي نحو مهبّ الورى.. ودعني:

دعني أتوقد في شمس روحك جذوة ضياء وفرح.. واتركني أرتع في مجرّات سنينيكَ فراشة تغازل أزهارا رشيقة..ربابة تترنّم بنغم المروج حتى مطلع الورد ..قطرة من ماءِ وجدٍ ذابَ سرّا في يمّ الغسق.. فـ لي فيكَ آمال عِظام ، ولي منك عطرا ورحيقا وختام .. فلا تدعني ضحيّة لأضغاث الهيام ... ووليمة لسَغب الوصال ، أو بُكائية للحنين .

فــ يا بعيدا في مكانك

يا قريبا في غيابك ...

لا تعزفني للسهارى موالا حزين ، ولا تكتبني قصّة للشرود ، أو ترسمني خيالا من وهنٍ وقَضيض ، سيرة لأهل البَين تجعلُني ، وعلى ورق الضَّياع تطبعُ سيرتي.

فاترك الليل يا سلوايَ على رِسله يمضي ، ولا تدعني أنتظر انحياز الأرض طيّاً للطُرق.. أهتدي بالعبرات السَّواقي كي ترسم خطوتي ، وانازل تقرّحات الجرح في المنفى الطويل ، أسابق اليك مسافات الوداد .

فــ قل للنوى يكفي..

وقل للهوى هيّا ..

فكلي لما لديكَ من وصلٍ فقير.

يا قريبا ؛ يا بعيد..!

ساق العروج اليك مبتورا ، وكلّي في الغروب المرّ منثورا، فلا تدعني اتعثّر بفوضى غيابك..الملم شمل عشرون ظفيرة وبِضعُ خصلاتٍ يافعات ، فالبعد عواقبه وخيمه، وحقوله بالشوك تَحفل، فلا تصيّرنا لمكائِده حَبائل، فيغدو الزرع عوسجا مرّا وحنظل.

يا حنينا ليس يُقهر..!

طاب لي المكوث بساحِكَ يا بعيد ..

فـ لا تتخذني تعويذة لافتقار الضوء في عينيك ، ولا تُنصّبني عروسا للشتاتِ ؛ قهوة من مرارها تَستلهم شِعرك ...ف كلي الى وصلكَ افتقار

وبعضي في غيابك شوق وتوق ونار..

فـ لملم شَعث العتاب واستغفر للغياب وكنْ ..!

كن لحظة صدقٍ كريمة اللّفتة ، نبيلة الحضور وقورة سخيّة .. كن فَرقدا من نورٍ حَقيق،

واطلق سراح العطر المسجون في زنزانة شبابي فـ أنا ..

أنا ميراثكَ ؛ كل البداية وامّ الحكاية ..

فالى أين ، أيّان وأين...

فكل طرق الهوى تُودي " اليك" ...

كل الطرق توصلني " اليك" ...

كل طرقي تودي بي "اليك" .





يا همس الصّبابة..!

يا همس الصّبابة..!

يا همسَ الصَّبابة في أتون مُهجتي !

مُذ عرفتكَ صدفةً ؛

وانا في نِزالٍ أنيقٍ مع رِضابِ شهدٍ على هيئةِ حُلمٍ كريمُ البشائِرِ .

ومذ التقيتكَ غيباً!

وانا في عِراكٍ مع شيطانٍ مُوكلٌ بحالي..

يجوئني على هيئةِ لحنٍ ثري الغزل يُعيثُ فسادا في مسامعي ..

ينفثُ في مزامير روحي نارا ذات شغب..

وما ضرّه شقوة الحنين في مدائن وجداني ، فيرحل بقدرتي بلا سلوى ، قُبيل همس الحب في عيون قلبي .

ومذ حضرتَ سرّاً.. !

وأنا وأحلامٌ طاغية اللهفة نرتقبُ شهرياراً عابراً غنّتهُ صادحاتُ الشوق أنشودةُ توقٍ وهُتافُ نشوةٍ شهيةُ المَطلعِ .

وشقوةً .. !

لا زلتُ وخيالاتي نطاردُ فراشاتُ غزلٍ خجولةٍ تحملنا إليك..تزرعُنا في جِنانِكَ شتلاتُ بنفسجٍ تضوّعَ ملءُ الكون شذاها، وفتنةٌ معجونةٌ بعطر رجولتك .

ولا زلنا ؛ رغم استرداد الوعي إثر وعكةٍ وحلم ..

لا زلنا نرقبُ من علالي الغيب عودة حبيبٍ ساحرٍ تركَ لنا أكثره.. وغاب.

فــ يا أيها المقيم بين ظنّي واليقين!

تمدّد في أرجائي من أقصى جنوني الى منتهى اشتهائي..

وكن احتوائي .. كن تاريخي ..كن قصيدةً تنمو بهرجةً على جداول قافيتي وغنّيني..

غنّيني ترفاً رقيقا لا يحيقُ صِدقُهُ إلا بأهل الحب .

واصطفيني طفلةً تستفيقُ على صدركَ مع غنج الصباح

وحوريةُ ليلٍ ملائكيّة العطفِ فاتنة المُدام .

يا خفقات الوله!

تلك صبابتي أرقتُها بين يديكَ لجّة جنونٍ وآهات هَيام..

هُتافٌ مموسقٌ كنقر الأوبرا إذ عمّ الجوارح سنا نجواها والغرام..

فكيف..؟

كيف يا حظّي أنا..

كيف أتنفسكَ حقيقةً وانتَ قابَ قوسين التلاشي ؟

وكيف أكتبكَ غزلا ووجع الكلام يُقاضيني على حبري؟

وكيف أعود منكَ اليّ وانت ذنبي الذي لا أرجو له مغفرة؟

والى متى سأنتظركَ ، والإنتظار يهمس لي أن لن تستطيع معيَ صبرا؟

ومسافةٌ عصيّةُ الطيِّ تُصفّدُنا على قارعة الحنين تماثيلاً من سراب؟

مُرهقٌ أنت أيها المستبدّ

وممسوسة أنا بكَ ...

يستحضرني طقس جنونكَ جنّيةٌ شقيّةُ الولهِ دفّاقةُ الغرام.

ومُدانة انا بك..

مُدانة بكَ سرّا حدّ الّلابراءة .

فأقِم في خلودي الى ما لا يعلمون..

فلقد أرهقني لا وجودكَ عَبثا وشقاء...

أقبِل اليّ قدرا مقدّرا ولا تَخف...

أقبِل تهجُّدا .. أقبِل طوعا ، حبّا ،كرامةً .. أقبِل لا تخف

أقبِل.. ولبيكَ نبضاً

أقبِل .. ولبيكَ أنا نبضاً.





يا بدايات الرّغد..!

يا بدايات الرّغد..!

يا بدايات الرَّغد!..

يا طفل أحلامي أنا!..

عرفتكَ من نافذة الغيب المُشرعة على الصُّدفة

وعلى قارعة نبضك توسّدتُ بشائِر التمنّي..

وأسرجتُ قوافل الرَّجاء...

وحلمتُ ... وتمادَيتْ...

كم وددتُ أن أُسافر إليكَ عَبر أدراج الغيم المُتخم الخيرات..

أن أتلوّن كقصاصة قُزحٍ تحتضن خدّ النعيم...

ولكنكَ أوغلتَ في السَّفر ما بين النّار والأماني..

وما وَفيتْ..

فـــ يا وجه آمالي أنا!..

فاتني أن أُخبّئ من جديلة شمسنا خِصلة

كي أحتسي معها قهوتي وقت تعتريني قشعريرة الغياب

نسيتُ أن أملأ كؤوسي بآلاء النَّدى..

لأشرب منها في هُتاف صُبحٍ قابَ جفافٍ يئنّ.

وقت تركتني معلّقة بين زَهر الحظّ وشطرنج الإحتمالات ...

وعلى مفترق الأمنيات تركتني وحيدة وترجّلتْ..

وبين وهمٍ عابرٍ يتأرجحُ على رموش شهابٍ تائهٍ ضيّعتني

ولا زلتُ رغم النأي أجوبُ بِطاح عليائكَ باحثة عن إبرة حظٍّ تماهَت ضياعاً في عِهن كوكبك.

فكفّ يا سراباً جارياً بين الوِهاد..

كفّ عن رسم الخلود على شواطيء بحرٍ مهجور النَّوارس

ولا تقرأ دعوات القُربِ في صلوات المَيتين...

فلقد توضّأتُ بفرات الهُدى...

فارقب خطواتيَ وهي تبتعد..

واستمع لها وهي تستبق نُسك الطواف وداعا..

ترقّبها وهي تأوي لوادٍ ذي يقين ...

وانظر مليّا لصحوة النور في عيون قلبي ..

واستمع لحديث روحي المنسوخ على شرائِط العفاف..

وحدّث عن مغفرةٍ ذات وعد...

حدّثهم عن حكاية أنثى أيقنَتْ أنّ الكفر بحاجتها إليكَ قوّة

وانّ غناء المَراثي بأعراس غيابكَ محرّم...

حدّثهم عنّي يا رجُلاً يحترف الغرور...

حدّثهم عن أفراح حرّيتي المؤجّلة...

حدّثهم عني...

حدّث ولا حرج.



يا أنيس الروح!

يا أنيس الروح!

يا أنيس الروح وأُنسها!

أحببتكَ ..

أحببتكَ فأودعتكَ سرّا جميلا تلهو به خلجاتي وقت يُشقيني الغياب

أحببتكَ يا وديع صَبوتي..

احببتكَ ؛ فتغشّاني نميركَ السُقيا العذِب..

فاهتزت فراديس روحي ..

ورَبَت على إثر مسّ منك ورود أنوثتي..

فغدوتُ ..

غدوت تلك العاشقة الطازجة الأنوثة

إن جنّ ليل هواها ضجّ كلها اشتياقاً وهياما

وإذا حلّ صبحها استحمّت ببريق الندى الذي استفاق يراودها عن طراوتها .

هَيامكَ انا يا هَيامي..

هيامك انا يا أنيس وجدي وحلاوة وقتي

فهلاّ ترجّلت عن عرش وحدتك وجئتني لأتوّحد فيكَ ،

لأمارس بين يديك شقوتي وصبوتي؟!

فلقد اعياني غيابكَ حدّ وجع الحنين ..

وتمادى الصبر على صبري

أفيرضيكَ وجعي ..والجنون؟!

أيرضيكَ جفاف الرّضاب من قدّ ورد أنوثتي الميّاس ؟!





كلّي يُغنّي..!

كلّي يُغنّي..!

ليلي غائب الغَفوة!...

وحالي على حالي يُغني

وثاوية في قَبو آمالي أنا

وكلي يغني على نجواه .

كلّي يغني على شَكواه!..

وفِكرٌ رابية النهوض تهين وقار وحدتي

تَضرِمُ الرُّقاد بقطعٍ من هُراءٍ تَنوء بحملها الأرواح أولِيْ التقوى .

كلي يُغنّي على سَلواه!...

وحُلمي جاثٍ سوسَنُهُ

غير مكتمل النَّصيب

وحَرائر الرّوح تَتهجدُ وعود النور

تُعلّلُ الخَيبات بالتمنّي

وريح يوسف حولها تَمور

تُراودها عن حُلمها

تَقدُّ قميص الرُؤى

ونفث دخانٍ يحوم في الأرجاء

يطمِس مآقي السَّكينة إذا الحلم سجى .

كلّي يغني على تَقواه!...

وثمّة نِزال ثريٌّ الحِيرة بين ملائكة العفاف وشياطين الهوى

وأنا!...

غيداءُ الليلة سيّدةُ الحكاية..

سليلة رسائل الفجر المَخملية..

أنثى شهيٌّ ودّها

تُغازل الحلم المستحيل

تُدير تعاويذ الشموع على مضضٍ ؛

وعلى حين غرّةٍ من احتضارها.

ليلي يُغني على بلواه!..

داليةٌ شائخٌ قوامها أنا

وعلى وقع أقدام بِشارة غافيةٍ قد نَذَرتْ أُكلَها

فلربما أينعَ ذات ربيعٍ حظّها

ولربّما أفرجتْ أقحوانات الضّباب عن بصيص ضوءٍ يُساند نسلها

ولربّما كفّ الليل وكفكفَ كلّي عن فتوى الجوى

فمتى تكفّ يا ليل عن الغناء المُعنّى بالهوى؟!

ومتى تكفّ عن العبث بسلوايَ أنا؟!

ومتى يكفّ كلّي عن شكواه ؟!

متى يكفّ كلي عن نجواه ؟!

متى يكف الكل عن بلواه ؟!



شُغفتُ بأحلامي حُبّا.!

شُغفتُ بأحلامي حُبّا.!

شُغفتُ بأحلامي حُبّا...

وتصوّفاً أضحت تتعبد نوافلا على بساط عليائي

فاستودعتها الروح وما حملت..

ومضيتُ تقرُّ بالممكن أحوالي

ورائحة اليقين مفرطة التجلّي

وعمدا...

أزهقتُ أنفاس المستحيل

وترهبنتُ لأجلها عمرا طويلا..

ونذرتُ لها صوما مديدا

وجوع العمر يتغذّى على فسائل التمنّي

منذ شوقٍ ؛ وقمر شغفي سراج فيّاض الغرور..

ومنذ عزمٍ ؛ وأنا أحمل أحلامي كثبانا من ماءٍ وطين

ورغما...

أتضخّم أملاً ..

أهذي بحمى من فتوى همّي

وأرسمني وشماً ؛ تفاحة حظٍّ تبقيني وأحلامي على قيد الجاذبية ...

فـــ يُراق شلال ولهي سخيّا ..

وشوقاً...

تبقى مزون دمي باسطة كفيّها بالرجاء

وقت آنستُ نارا ذات نضوج

وظلماً..!

يتبرم الهواء الساقط من علٍ من جور ضيقي

وتتعاظم شهقاتي بقهقهةٍ وسخرية..

فــ يا طامعا بأحلامي من فوّضك

ويا شامتاً بالحال من وكّلك...

و يا راقصا ملحا على جرحي من علّمك؟!

رقراقة أنا من فرط آمالي بكم...

شفافة الى الحد الآيل للتشظّي ...

فعلامَ يُرديني كل ذي ثقةٍ بخيبة..؟

وعلامَ يا رفاق الودّ..!

علامَ يُراق صافيَ صدقي سخيّا ..

وهل يجازى الودّ الاّ بالود لو تعلمون ؟!

حزينة أنا..!

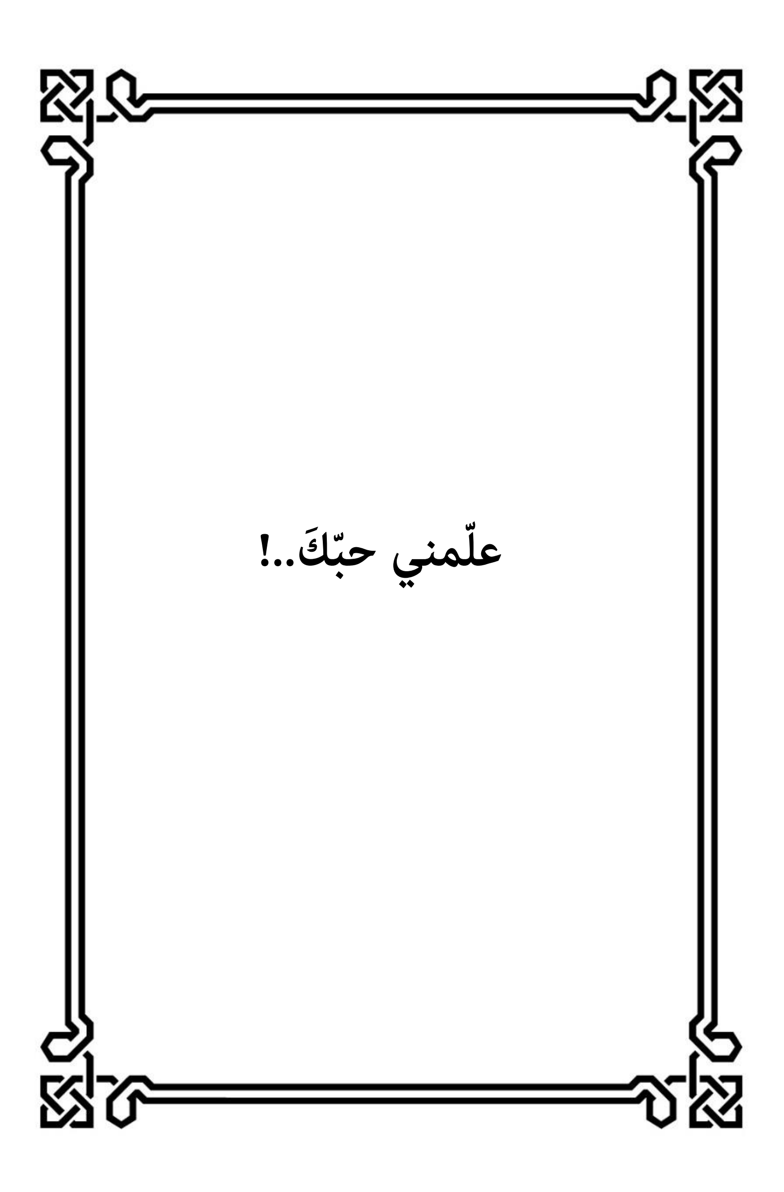
فــ يا خيباتي العظام غفرانا...

فكلّي ينعاني غضبا عليّ...

وكلي يهجوني ندما عليّ

وكلّي يغنيني أملاً عليّ ..

كلّي يغني على حزني عليّ .



علّمني حبّكَ..!

علّمني حبّكَ..!

أن أكبر قبل الأوان..

علّمني كيف أعيد ترتيب أشيائي ..

وأسند الذات المنكفِئة على بعضي..

علّمني.. ألاّ أأتَمِن البحر على جسدي الطافي

وكيف الملم زبد الروح المنثور على أكتاف موجة حزينة

وألاّ أتعلّق بأستار قشّة الغريق...

وكيف أذرف غصّة الملح المذاب في العينين.

علمني حبّك...!

كيف أنقذني من انكسارات بهرجتك

ومن سلوى الضياء المخمور في عقيق عينيك

أن أغتسل من ضُحاك المعتلّ البريق ..

وأقطع دابر دمك الموقوت في أبهري...

أن أمدّ أضوائي الى اللامنتهى

قبل اختناق قوس البصر بين حاجبيْ والعين..

علمني حبك:

ألا ارتضي بأنصاف الحلول

وألاّ أدمن أقراص الصبر

فعقائد الرضى فيّ قد تقهقرت..

وآلهة الحكمة قد تخلّت

وكواثر الخضوع فيّ قد نضبت......

علمني:

الا أقترب من حبّ زادني رَهقا ...

ألا أتسرّب مثل وهمي..

أو أتكوّر مثل حزني...

أو أتبخر ، أتلاشى مثل دمعي..

ان لا أهِب الروح قربانا لضوء خافتٍ بعيد...

فوحدي من يعرف مواعيد الصحو ونبوءات الشروق

علمني حبك..!

ان أتنشّق من رائحة جرحي إكسير البقاء

وكيف أصنع من حليب الوجع مراهم الشفاء..

ومن دقائق الرحيل الف بقاء.

ان أبرأ من سجع الذكرى ومن صوتي المبحوح الآه

وأن أقاوم صوتك الهادر في أمواج مسمعي...

وكيف أكتم شهقاتي التي ما استنفرت يوما إلا إليك...

علمني حبك:

ان لا استسلم لخيالي ..

وأبيت في انتظار طيفك السوّاح طويلا   ..

و أرقب تحبّبا زحف تصحّري.

وعلّمني:

ان أُلقي بأثقالي على عاتق النسيان

وأخضّب هالتي بحنّاء الثبات

أن أرقِني في الليلة ألفاً

وأضرب حوليَ سورا من البركات

كي أتعافى منك ، من شوقي اليك..

من شغفي من أرقي..من قلقي عليك..

من سحائب الآه المعمّدة على سلاسل الكلام..

من حبر قلبي المهدور على أوراق اليَباس

ومن بيوت الشعر الخواء المنسوجة من قلق الوداد...

وكيف أفري قصائدي المعلّقة بأغصان ياء النداء...

وأنجو من نون النسوة المنقوشة ثرثراتٍ على ورق أنوثتي...

علمني:

ان اكفر بالحظّ..بالصدفة..بالاحتمالات ،

بالمنطق بخدع الألوان...

فوحدي من يجيد تلوين جداريات الليل بأزرق الصباح

ووحدي من يملك الحق في سكب باهت الألوان على لوحات ذاكرتي ..

علمني:

أن أكذّب طقوس الفال وفنون العرّافات

وألاّ أمتهن الخرافات...

وأن أنسى ذكرى ميلاد النبضة الأولى...

وأمنياتي التي أمست على عروشها خاويات.

حبّك علّمني :

علّمني أن أتحلل من قَسمي...

وأن أتوضأ من إثم ذكراك

وكيف اقيم جهرا صلوات العفاف

أن أتسامى...

أن أتطهر..أترهبن ، وأتبع ركب العذراوات..

لكنّ حبك يا قدّيس مهجتي علمني أشياء لست أنكرها..

علّمني كيف أُمسي عابدة في محراب اليقين والثبات

كيف أرفعُني عن اللَّغو مقاما

وأرتضي بقدري المشروخ النَّصيب

كيف أسامح..



كيف أطلب الغفران من رغبة عقابك

وأستغفر سرّا وجهرا..

لئلا ألوكُكَ لحما محرّما عليّ في الغياب

لئلا ألوككَ لحماً محرّماً في الغياب.



بِئس الظنّ يا غياب..!

بِئس الظنّ يا غياب..!

يا رجلا يَسكُنني!....

لا زلتَ تستلُّني مني...

وقت ينام الضوءُ على خَيبتي..

لا زلتَ تجتاحُني كالسَّيل العَرِم..

وتتوغّل في فجاجي حتى منتهى غمار العروق..

لا زلتَ تحاصرني بين شِعاب سَمر الليل...

وتنثرني وردا حزينا مقصوفا ببرد الغياب ،

ملء البِطاح المؤرّقة بالسُّهاد..

يا رجلا يحترف الغياب!...

لا زلتَ في سُرى حروفي سلوى لياليّ العِجاف...

وقت ينام البؤس على دمعي

لا زلتَ تغرس خيامك في عظميَ العاجيّ..

فأشتاقك دفئا يُعاند شتاءات العَذاب....

وقت يتجلّط النور في أوردة السَّراب.

يا رجلاً أحلّني دار الغياب!..

كظيمة ليالِيّ بدونك......

فلا تُغلق نوافذك وتستريح

فسآتيك من فصول النأي غيما يحفّز للبكاء...

مرمرا راهجا في عَربدة الماء...

ليناً يزلزل جفافات البُعاد...

أريجا يُسابق عَبقي المُمدّد في مِسك غواك

فلا تَنحر جلال الحبّ قُربانا للغُرور

ولا تتنكّر لأُنثاك السَّاكنة في بَهاك

يا رجلا أقوى من احتمالات الغياب!...

بثلاثٍ غِلاظ...

بما ملكَتْ حروفي...

بالصدق الذي يُشبهك...

بالنَّبض عَمعمَ باليقين....

و بكل تواشيح النّقاء المبثوثة في صُبحنا الأثير

أدليتُ قسماً بالعشق وأقررتُ بأنني:

قد تبرّأتُ من سَخطي عليك...

وأزهقتُ عبثيّة غَضبي عليك

وغسلتُ مُضغتي من ظنوني المُتدثرات ببؤسيَ الفقير..

وأقسمتُ صدقاً بأنني:

لن أُرعرعكَ يا غياب حتى تُبلّغني أرذل العمر النَّضير...

فيا لذّة العِقاب غرّي غَيري

فلقد كفرتُ بشياطين العِتابِ

واجتنبتُ خَبائِث الرَّحيل...

فما أغباكَ يا غياب!

ما أغباكَ وقت ظَننت بأنني:

سوف أرحلُ عن هواه

وما أشقاك يا رحيل وقت حسِبتَ أنني:

سوف أنسى، أو أتخَلّى عن ضِياه

فإليه قد شَددّتُ مآزر الرَّحيل...

اليه قد شَددّتُ مآزر الرَّحيل..

فقلبي لن يَخون..

قلبي لا يَخون.

فبِئس الظنّ يا غياب...

وتبًا لغِيِّكَ يا رحيل .



ما ضرّك لو..!

ما ضرّك لو..!

يا جار الروح أنت!

ما ضرّك لو!....

تلوتني تراتيلَ من هِبات صحوتك

وأحَطتني بتحاصين المساء

وأدخلتني الحظّ آمنةً

لأُزهر في كتب اليقين

وأرتحل إلى قاب قوسين من ضياء

ما ضرّك لو!..

قرعت أجراس إحساسي..

وأذقتني نشوى الكبرياء

وأعلنت في ميادين الغرام عشقي

واتخذتني زهرتك المقدّسةُ التي

تهطّل عليها منثور أيكتك في ذات اخضرار

وطالَ نَداكَ أعتابها العَطشى ،،

فاهتزّت...وربَت.

ما ضرّك لو! ...

قتلت برآءتي

وجعلتني بحبك أكبر؛أكبر من عُمر الشقاء

وأقوى ؛ أقوى من سُلطة القهر

وأعنفُ؛ أعنفُ من ثورة الهمّ

وأينع من أساطير الذبول

وكسرت فيّ تمرّد الظلّ وبقايا المساء

وسحقت أفاعٍ تجوبُ في صحراء أخيلتي

كشراييني المُنعقدة فيّ على وجع...

ما ضرّك لو!..

نزفتني ألقا ،شيّعتَني غرقا ,

غدقا أرقتني على وجه الجنون

أوبعثرت انكساراتي على عين السراب

ونثرتني فرحا تَمطّى على سدول الليل

أواشتهاءا تبدّى في عين المجون

ما ضرّك لو!..

جعلتني أثير هذا الضّي

وضجيج هذا الفرح

وأزرق هذه السماء

وانبلاجات ذاك الليل

فأنا الشفق الرهيف المحمّل باشتهاءات النهار

وأنا ؛وردٌ أثمرت أيكاتُهُ حُلماً على شطوط الإنتظار

وروحٌ أدمنت دندَنة الضُحى

والرقص في تَباهي الإنبهار

ونفسٌ توضّأت فجراً من أوائل الطلّ؛

المنسكب هَياماً من تباشير النهار

وامنيات ترتجي انبعاث النور في أيكات الإحتضار....

ما ضرّك لو!..

غزلتني شالاً مخمليّاً من أهداب عينيك

أو رسمتني لوحة عسجديّة من فسيفساء روحك

وكتبتني قصيدة تألقت في دفتر الشعر الثمين

أو قرأتني نثراً منقوشاً على كفّ الهـوى

أو أذبتَني لحناً في أواني أغانيكَ الجميلة،

سكّرا تمادى إغواءً في خَمرِ رؤياك

أو قطرة من ندىً قد ارتسمت فرحاً على وجه الزنابق

بمداد الأثير،وسبّابة الصباح...

ما ضرّك لو!..

أشعلنا المدى رقصا في سماء لهفتنا

واقترفنا قبلة مؤجلة أعياها التحايل على الكبرياء

تئِنّ طريحةً على ثغر الحياء،

أواسترقنا لمسة فرّت من حاناتنا في ذات إغواء

ماذا لو أرّقنا الوداد...

وغرسنا اقحوانات حبّنا على قبر الضياع

ورويناها من ريق الشفق...

ومن سلسبيل البقاء...

ما ضرّك لو!!..

زرعتني حقولاً من أنت،يا أنتَ

وفُزت ببياضٍ من أنا،،منّي انا

وكنت يا سيد الروح،،يا روحها

ثنائيّ فرحي ،،ووحيد لهفتي

يا لهفتي أنا .



لن أمنحكَ ضعفي..!

لن أمنحكَ ضعفي..!

يا صاحب الجلالة!

لن أمنحك ضعفي!!...

فما عدتُ أنثى من ضوءٍ وألق..

رقيقة كعباءة الصيف الشفيف

ريّانة القدّ...تراقص بنيّات النور في دلالٍ

وتتثنّى كانكسارات الفجر البلوريّ على أديم الفلق

لن أمنحك ضعفي!..

فما عدتُ انثى من لجينٍ وودق...

تنافس بهرجة النجوم

تموج ما بين السماء والأرض في ولهٍ

وتقبض على جمرات الشوق والجبين أندى بالعرق

تلملم الشتات من جفنات الليل وأحداق القمر

وترتكب إثم السُهاد لتضيء مصابيح السَّمر

تسابق ضياء البدر الى مخابيء ليلتك،

وتحتفي بانثيالات النور في أوج عزّتك

فما عاد الليل يغريها بفناجين السهر....

فالعين شاخت من وسنٍ يؤرّقها ،،

والجفن بات يشاطره الأرق...

يا حلما قبل أوانٍ قد احترق!..

لن أمنحك ضعفي..

فما عدتُ حفيدة الغيم المعتّق بالسلسبيل

أو ديمة بكّاءة..تتهجى بوح الماء ببراءة

وترتضى صفعات الريح لتلقي بحملها بين كفّيك

وقت تتضخم بالوَدق

وفوق بساط الريح تصلي..

تتوسد تراتيل الخشوع

كي يزول الشوك عن خدّ الورد المجعّد من عبث الرَهق

ويفور تحت أبصار المطر

تصلي..كي يزهر البيلسان على بَور فؤادك

ويحيا على ربواتكَ لوز أخضر..وورق..

يا قيصرا ما عادت آلهة الجمال مسكونة بوهجه حتى الغرق!

ما عدت تلك التي تشتهي انبعاثات حلمها الأنثوي

من جنّة وردك المخمليّ ،،

وتجوب في منفاك الفصليّ تقتفي طعم الألق...

فلقد تبدّل بالشوك الورق..

ووحي الغمام قد تهطّل ؛ كأدمعي

يغسل الروح من بقايا فحيح الضيق والقلق

والشرايين من خُثرك؛والعلق...

ما عدتُ تلك الطفلة التي تتلهى بضفائر الشمس وحليّ الشفق

ما عدتُ تلك البُنيّة الربيعية الغارقة في اللين،

يفيق على همسها الزهر العبِق،،

ويختال في بحور عينيها القمر...

ما عاد يغشاني جنون الفجر والسَحر...

فالصباح الملائكيّ ما عاد ينطق بالألق

وما عدتُ أنتظر الصباح...

لأذوب في رقّة اللحن الفيروزيّ حتى الغرق

يا حبيباً ما صدق!

لن أمنحك ضعفي..

لن أتسول الكحل من سواد الليل الغافي في عينيك

ولا الخضاب من قرمزيّة الشفق

ولا الحلم من فيافي عتمتك

لن أطارد عطرك الممنوع في أسيل الورد

أو في قوافي قصيدتك المسكوبة صفرة على شفة الورق

لن استجدي قليل حظٍّ من طالعك

لن اقتفي صعقة الذهول بك

لن أُطارد القطرات المنسابة من نهر كوثرك

لن أغدو قارئة الصباح في عينيك

فما عدت أنثى أمانيك...أنثى الجنون والشَبق

وما عدت تلك الرهيفة المخلوقة من فجر والق

الغارقة في جحيمك حتى الغرق

فقاموسي الأنثوي مملوء بمفردات الخيبة حتى الأفق...

يا من كنت مجنوني؛وليلاكَ!

لن انتظر شظايا صدفة تُدخلني ياسمين جنّتك

أو انفراجات الركام في الليل الدجيّ من حضرتك

أو رذاذ يطهّرني من يقظة الأيام الخاليات الغارقات في نار صهوتك

فأذّن لنجمك بالأفول عن دنيا الصبابة والصَخَب..

فلقد تكسّر الوعد على مضارب خيانتك،،

وفي جحيم الغدر عشقنا قد احترق....

أذّن لطيفك أن يغترب....

ليغدو كبريائي قاب قوسين من أنايَ أو أقرب

فالروح أضناها الشوق لتراتيل البراءة في مُهج الفلق

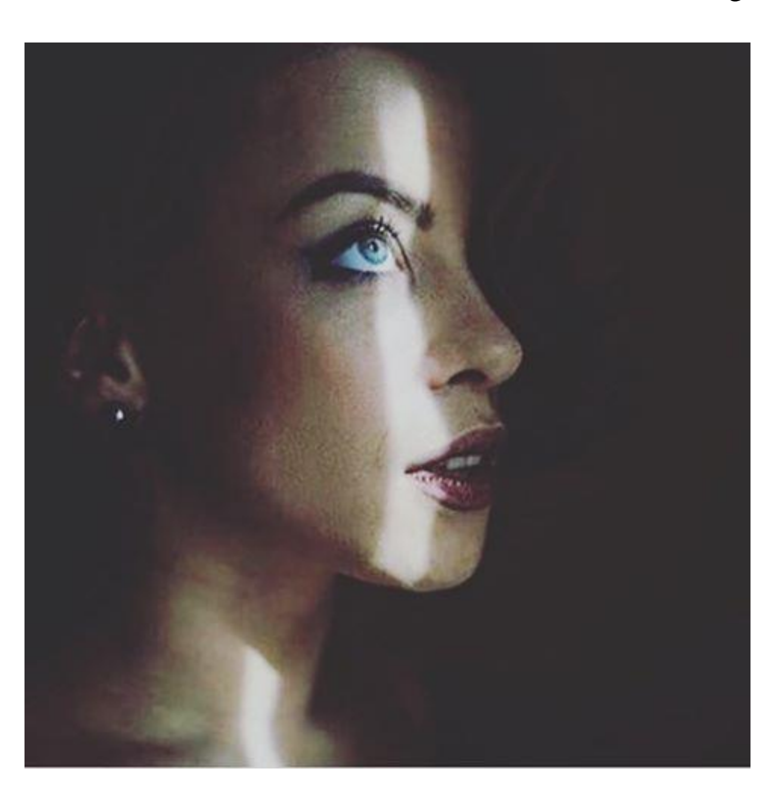
وتجلّي الطُهر في ذات قلبٍ قد صَدَق ..

أذّن لطيفك أن ينسحب.....

فما عدت أنثى من لجين وألق..

فلقد أعياني العَوم في غَبَش الغرق..

لقد أعياني العَوم في غَبَش الغرق..





إلاّ أنا وحدي..!

إلاّ أنا وحدي..!

إلاّ أنا وَحدي!!..

وليل بالأسى يجلّلني..

وعينُ النّجم تَرقبني..

أغفو على وسائِد الحنين،

فيلامسُ أهدابي شيءٌ من ضوء القمر

فأصحو.. وأغفو..ثم أصحو..

والنّاسُ قد رَقدوا.

إلاّ أنا وحدي..والقمر!

وأيامٌ تلوحُ من بعيد،

مُمطراتٌ مُشمساتْ

تَتهالكُ في أضلُعيْ ..فأنا!!..

مَن هَزّ الزمان غُصونَ عُمرِهِ ؛ثُمّ عَبَر.

إلاّ أنا وحدي....وسُهدي!

وروح هَزّها الوَجدُ.....

ففاضَ منها الحنينُ وانتَثَر

وذكرياتي ..! تغتالُني ، تأخُذني.....

إلى حيثُ الحبّ والحياةِ وليالي السَمر

إلى حيثُ الشّمس والجّمال والزَهر.

إلاّ أنا وحدي...وكواكب السَحر!

وشُرودُ خاطري في أقصى مَداه..

أغفو ..و أصحو..ثم أغفو

أُكلّمُ الليّل عَبرَ أستارِ المَساء

والصّدى ينسابُ ملء دَمي

يا ليلُ :مَن أنا..؟ما لُغز الحياة؟

وآحيرَتي..!!

أصحو وأغفو..ثم أصحو

والنّاسُ قد رَقدوا...

وزِحامُ الشّوق يُطَوقني..

تتقاذفني ريحُ المَنون كفراشةٍ في مهبّ الرّيح

تدورُ حول النّور في الليّلة القمراء

كي تَستدّل الدّرب في الليّلة الظَلماء

فأدورُ..وأدور..إلى أن أُسلِم الليّل للصّباح.

إلاّ أنا وحدي..والمساء!!

وعهد من حياتي قد مَضى

وتاريخاً ؛كانَ يَهواني..وكنتُ أهواه

وقلباً،أطبق الليّلُ عليهِ فأضناه...

إلاّ أنا وحدي..والسَّمر!

أُحاور النّجم ،أُطارد الأشباح

أستَجدي الليّل مع نجم الصّباح

حَدثيني يا ليالي!..

قُلّ ليْ بربِّك يا نَجم الصَّباح:

لِما أنا وحدي..وسُهدي

وذكرياتُ الجَوى ووقع أقدام الزّمان يُنبئُ بالفجر الأخير؟!

وفي الليّلة القَمراء!!

ألمحُ بقايا الصِبا من خلف أضلُعي

وعَبر نسائِم الليّل المُفعَمِ بالأثير وعَبر سحائِب السَهر،

فيسحقني الحنين تحت أقدام القمر..

تنتابُني.دَفقةً من بُكاءٍ؛

أحتاجُها...فأبكي..وأبكي.

كَي أطفئ انفعالاتي التّي ،تتوقّد فيّ كالجمر.

وحيثُ النّاسُ قد رقدوا!...

أبقى أنا وحدي..وأوراق شِعري،وبقايا الأثير..

نَرقبُ اكتمالَ البدر في ليلٍ غائِمٍ هَدّار

أسكُبُ الذَّاتَ على وَرقي

أُغَنّي..رُغم الجُرح والأقدار

بلحنٍ شابَه الإعصار..

أسيرُ تحت ظِلِّ النّار

أحومُ حَول النُّور في ذاتِ المَدار..

أدور وأدور وأبكي وأدور..فلرُبّما!..

أَلِفتُ الزّمانَ فأنامُ في سكون الليّل

بعينينِ يُبصران الضّوء حتى ؛

لو غاب القمر..

أرقُدُ.. كما هناكَ قد رَقدَ البَشر

في الليّلة الظلماء...

تحتَ السّرابِ..فوق الغَيمِ

حتّى ؛

أو ...كما شاءَ القدر.

فلقدْ سَئِمتُ وحدَتي وسطوةَ ليليْ الغائِم الهَدَّار

ومَللتُ أُصارعُ الأفكار

أبحثُ عن ذاتي بين أنياب الخَطر.

فمتى أستدّل وجهتي ...؟

قل لي بربك يا ليلُ..وأنت يا ذاك الصباح؟!

متى ستغفو لهفتي عن كل ذيّاك الصياح..

فلربما ألفت الليل مع ذاك الصباح...

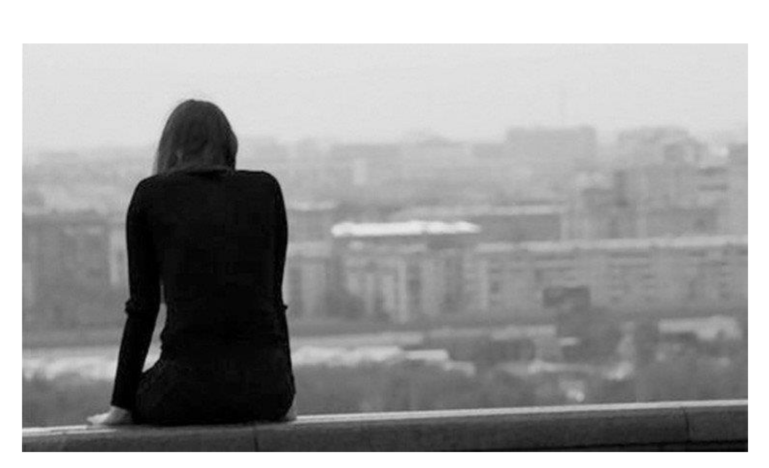
فأنام ملء ليلتي...أرقدَ في ظل هدأتي..

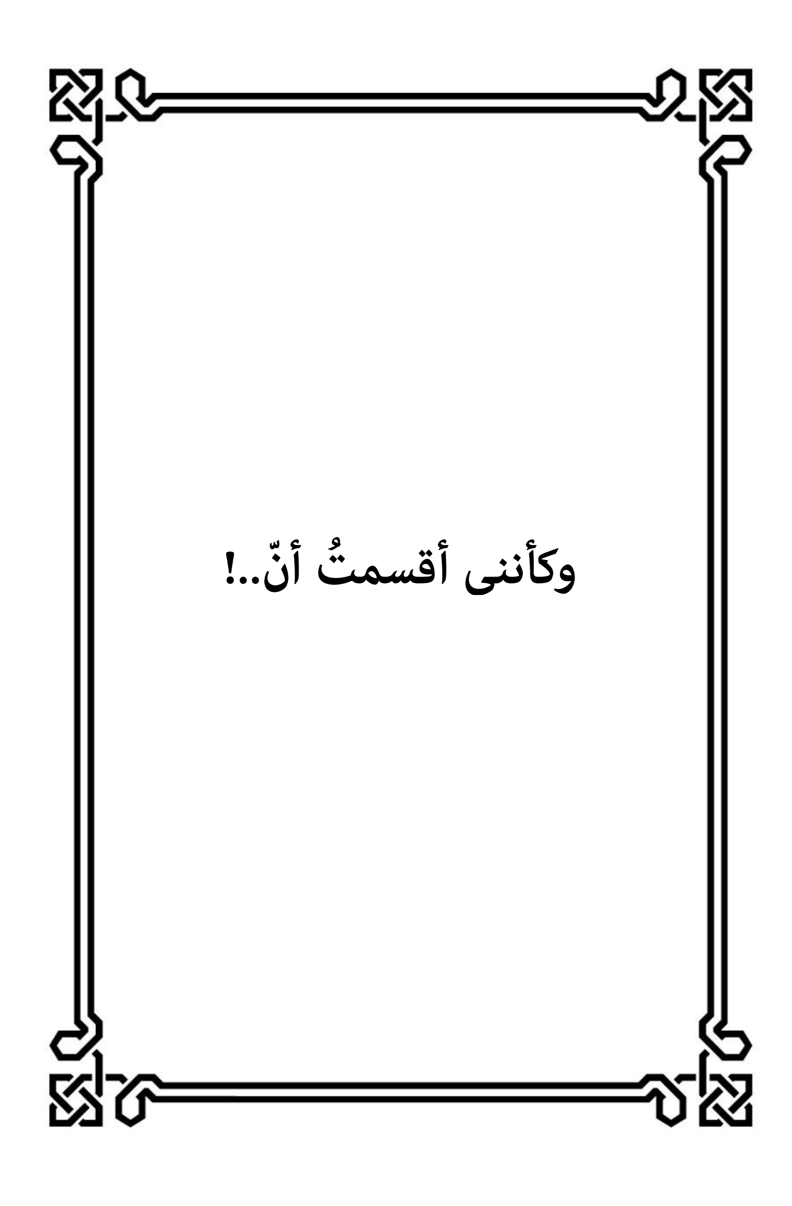
كما هناك الناس قد رقدوا...

ولست أُباليْ ؛مثلهم!..

إن كنتُ أنا من شِئتُ أنْ يكون ذاك عَيشيْ,

أو شاءَهُ عنّيْ القَدَر .





وكأنني أقسمتُ أنّ..!

وكأنني أقسمتُ أنّ..!

وكأنني...!

وكأنني أقسمتُ أن أشهق الضِّياء خِلسة..

لا وربّ الضِّياء ما أقسمت..

فلمَ الشهقات توغِل في المكوث على صدري

تتّخذ من بين الترائب والمُضغة اجداثا

اشقّ قميصها في ولادةٍ عبثيةٍ...وعبثا استطيع..

اهذي بالاختناق..ولا تثريب.

ودمي أزرق...

موشوم بفقد حنّاء البقاء في اوردتي ..

فإيّاك يا ضِياء..!

إيّاك ان تُخرجني من يقين الضوء ؛ فأُظلم.

إيّاك ان تُخرجني ؛فأظلم.

وكأنني أقسمتُ ..!

وكأنني أقسمتُ ان أخاصم الحَظّ وأعاند الفَال...

لا وربّي ما اقسمتُ..

فلمَ نبوءة الشّقاء تُطاردني..

تُبعثرني حُطام...

تُمدّدني على أكفّ العرّافة جثّة للمشعوذين

تَدسّني في جمجمة عفريت أحمر ...

لا يعرف طريقه إنس ولا جان....

يرسمني وهما، يحشرني خواءا في عمق الفنجان

فأقاوم ..أقاوم مدّ التخبّط الذي يبعثرني

بين اليقين،واللاّ..

فيا ايها الحظّ العاثر المتربّص بي...

إيّاكَ عنيّ...

ايّاك ان تُخرجني من ايماني؛ فأتعثّر.

ايّاك ان تُخرجني ؛فأتعثّر.

وكأنني أقسمتُ ان اعيش العمر وحدي..

لا والله ما اقسمتُ...!

فيا ليتهم يعلمون..!

كم هو مؤلم عناق اطياف الفراغ...

والرقص بشغبٍ في فوضى السكون..

يا ليتهم يُدركون!

كم هو مزعج صَفير الافئدة وهي خَواء

وكم هو متعب الدوران في أفلاك الجنون

فايّاك يا فراق..!

ايّاكَ ان تُبقيني اصارع الفقد وحدي؛ فأضيع.

ايّاكَ ان تُبقيني وحيدة ..فأضيع.

وكأنني اقسمتُ ان أبرم وغربتي عَهدا..

لا وعزّة الله ما اقسمتُ..

كيف..؟

وكلّي اليه يسعى شَغبا،رهجا ،مطرا...حبّا

وبوصلة الوجد فيّ تُشير حيثهُ واليقين

واثني عشرَ كوكبا في سديمي تدور حوله،،

وانا ثالثها العَشر..

فاتّخذ لي منك يا مُنيتي وجهة ومَرسى

فلستُ اعلم في أي جبّ قد حُبِستْ

وتولّني شَطرك ،ودعني أُزهر ثراءا بين كفّيك

واشدُدني الى وتَرِكَ لحنا لليَباب

وغنِّ لي وعنّي..غنِّ لي لحن الإياب

فيا غربتي..!

ايّاكِ ان تَنثُريني في دروب الغَيب نَثرا ؛فأضيع

ايّاكِ ان تُبعثريني ؛فأضيع.

وكأنني اقسمتُ ان لا اطرقَ للأحلام بابا..

لا وربّ الكائنات لم اقسم...

كيف..؟

وطوارق الليّل تَعبث بهسيس هدأتي

والآتي الجميل بين احداقي يَجول

كيف..؟

وبُنيّات الحلم تَشرب من كوثر صَبابتي

وتقتاتُ على بقايا نكهتي

كي تترعرع ملء الأرض عرضاً وطولا .

وكلما استفقتُ من مِيتَتي الصُغري اليها يُعيدونْ.

في يدي الف آآية حلم لو تَعلمون

فيا ليتَ العمر يكفيني ،فأحلامي جنون...

فايّاك يا عمر..!

ايّاك ان تَترهّل حول جفون سَوسنتي ؛قبل الوعد والحلم

ايّاك ان تترهّل فتشيخ احلامي ؛وأموت.

ايّاك ان تترهل يا حلمي؛فأموت.

وكأنني اقسمت الاّ انسكبَ شِعرا..

لا وربّ الشعراء ما اقسمت..!

كيف..؟

ومُذ عشقتهُ وشيطان الشِعر فيّ يَتلوى..؟

واليهِ بيت القَصيد أبنيه،

ولهيب الشَّوق في الضّاد يَصَّعَد...

كيف يا لحني ألاّ أنسكب فيك قولاً..؟

وقد تهجّيتُ النور من ثغرك

وغنّاك الحُبور قافية مأسورة ببحر فَيضك

ونَجمي العاطفيُّ قد تَعالى في الآفاق يُنشِدُك

يُغنّيكَ لحناً فاتِك الضَوع ثريّ العبير..

كيف..؟

وقد اقسمتُ ان أنثُرَكَ عِطرا على اجساد حروفي

ومرمرا على جيد قافيتي

وبهرجة على خاصرة البوح العتيق.

فلتندَلِق يا شِعر سَحّا كريما رخيّا

ولتُهدني من مَدِّك تَرفا رقيق المعاني

كي ازرعهُ ليلكة تشعّبت على شباك ضاديتي؛فيعشَقني

محارة في بحر قافيتي؛فيعشقني

فايّاك يا شِعر ان تَخذلني.. فيهجوني؛وأضيع.

ايّاك ان تُعاندني؛ فأضيع.

فيا ساكناً بيني وبيني...!

لا تُسلمني لهُنّ فأضيع...

خُذني اليكَ كي لا اضيع...

لَملمني كي لا اضيع...

واشدُدني الى وترِكَ لحناً للإياب ،

اشددني اليكَ لحنا للإياب.

...



ليل وحكايا الشيطان!

ليل وحكايا الشيطان!

يعاندني مزاج الليل

يراودني عن غزالةٍ تنشقُّ من وسواس

وأميرة الفنجان!

تنثر جدائلها كشظايا من نحاس

تقرع أجراس الإحساس

تُهيئ الحكايا والأقداح

والوسواس بالأكداس

توهمُني بأن البنّ ماء

وأن..في تهجّدها شفاء..

فاستحلفتُ الصبح أن يَجيء

وتفيّأتُ؛ قل أعوذ برب الناس

الليل طويل..

وكحيل..

كحسناء الفنجان ؛

كـ جديلتها والعينان

والعقل خواء..

إلا من فِكَرٍ سوداء

ومن نجوى الشيطان

ومن هذيان

فسلامٌ ربي من وشوشة الحظّ

ومن فتوى الشيطان.

عناكبٌ عَشعَشتْ على أبواب الليل

وفَراش يكذّب حكمة النور

وغيمة بُنٍّ..

تَرشُّ سنابل الذكرى بالسّواد

وفُجاجة حديثٍ تملأ صدر الفنجان

وعروس الأحلام!

تغوصُ في يَمّ البُنّ ،

وتَتعملق كالعَبق المنثور في الأركان

تبوح بسرّ الليل المذبوح الألوان

فسلامٌ ربي من أحاديث الهوى

ومن نَفث الجان.

مسوَدٌّ وجه الليل من الهمّ

وفي العُمق سَواد

وحديث في الظلم وفي الأحزان

وكهوف قد عَشعش فيها البوم

وأفراخ الغِربان

وقارئة الحظّ!

تتسلق أغصان الفنجان

تبحثُ عن خُرمِ نجاةٍ

من وَحل الليل

ومن تُهم الظلمة والأحزان

فسحقا يا ليل الأوهام

وسلامُ ربي من وسوسة الشيطان

ظلام يسكنُ في الفنجان

وحكايا من ألف زمان

قد دُسَّتْ في قُمقم عِفريتٍ

من زمن السَّجان

كمغارة أسرارٍ بلا شمس تُزاورها

والقمر مُحاقٌ كالظِفرِ

يَنهشُ وجه النجم

وقارئة الحال!

تخرج من عَرَق البُنّ وعبق الهال

تقلّب وجه الفكرة

تَدُسُّ السُمّ في الأنفاس

فسلامٌ ربي من وسواسٍ خنّاس

في الليل أرق..

وقلق..

وظلام باسط ذراعيه بالفحشاء

وقارئة تجترّ الأحزان

تنوح بليلٍ مطفأ الألحان

تمدُّ خيوط الاستشعار

من تحت عبائتها السَّوداء

تَستَقطِرُ من عِطر البُنّ

رائحة النشوة

تتلبَسُ خِدع الدّخان

تَحرثُ بحر البُنّ

بضَربٍ من فتوى الجان

تُقلّبُ أوراق الإيمان

تَهدر خجل الليل

و.. غيّا تتساءل:

من قتل أصحاب الفنجان

من رمّل جنيات الخدعة

من أخرس أرباب الفتنة

وشوّه أقوال العفريت

ووأدَ أصحاب الهَفوات

فتبّاً خاوية الإيمان

وسحقا قارئة الخَيبات

فكل من عليها فان

وسلامٌ ربي من أصحاب السّوءِ

ومن أرباب الغِيّ...

و... من هَمزات الشيطان.



لو حكينا يا حبيب..!

لو حكينا يا حبيبي..!

وليلٌ طافقُ الأشواق حالم..

يُمسك كيداً بزمام هيبتي ..

وهمزات أرواح مستحكمة تحكم المكان وتحكمني ..

تزرع الإستفهام قنابلا من شوقٍ وتوق ،

تستنطقها بـ " لو حكينا يا حبيبي نبتدي منين الحكاية "..

لو....!

وسمّ أليف يتصبّبُ من حنجرةٍ طافقةِ الوداد

تتعالى في فضاءآت وحدتي على هيئة لحنٍ فاتنٍ فتيٍّ يزرع مشاع الجوى بأيكات الحنين ،

ليستقطرها عطرا يندسّ كيدا في شقوق الجراح ملحا على هيئة سكّر .

لو....!

ودهشة تربكني أولاً في اولٍ على أول..

وقبائل المفردات مغيرات تتنازع عليك في صدري.. تبوّؤكَ مقعدا وحيدا واحداً أوحد .

و نزالٌ على هيئة لحنٍ مترعِ الشِقاق ، يُلقي بنار الفتنة ما بين أهل الحيرة والغارمون في الفقد .. وأنا..

وأبقى أنا..!

على قيد استشعار حضوركَ بين الأنغام أبقى..

أبقى أنتظر لحظة الإنتصار التي ربما استطاعت أن تجسّدكَ وعياً حيّا قادرا حاضرا ..فتأتي .

فـــ كم أجهدتُني..!

أجهدتُني كثيرا كي يبقى شوقي هادئا مسترسلا مبحرا بامانٍ عبر شطآن الأنغام..

شددتُ عليّ ظنّي ..وسَبحتُ في يمّ الخيال طويلا، وسبّحتُ كثيرا ؛

كي يستحضركَ الحظّ شبحا سرابا حلما وهماً لا يهمّ ؛ كلكَ أو قليلاً أو ربما بعضا ، أو يكرمني حتى بكسرةٍ من ظلّك .

غير أن ثمة صراع في محكمة الفقد يُخيّرني ما بين اليُتم وبينك..فأينك؟!

أينكَ ؟!

كي تُدرك بأن كل ألأحان العباقرة وكل الكلمات القاهرة والدندنات الساحرة لا تسعف غيبوبة اشتياقي اليك..

وأن طيفكَ غير كافٍ لجعل نار التوق عليّ بردا وسلاما،

وأن لا قدرة لليل على ترتيب مواعيد حضوركَ حلماً شافيا وقت تبتلّ وسادتي ببنفسج التوق المخمور؟

و...يطووول!

ويطول الليل ، وفي الفراغ الحالك يغوص الموال والتوق والشوق والنغم...

وعلى ضفاف المكان ينتثر عطريَ الناعم المترف الحنين ، ليّناً هيّناً كملاك ماطر اللذات ،

يتهادى بخطىً واثقة ، باحثا في اللامكان عني وعنك ... ورغماً !

ورغما ؛ مكبّلةُ النبض أبقى ، أقارع أوزار الرغبة وأنازل شُبهات العفاف

ومسافات عصيّة الحضور تتلوكَ عزفا منفرد الإغترابِ على امتداد ليلٍ كحيل يتوعدني بكَ شفقةً واحتمالا محرّما لم يأتِ بعد.

فيا ليل..!

مهلك انت والأحلام والأنغام والكلام وغيابه والخيال ..والكل وهُمْ..!

وذاك القتال المحموم الوطيس بين أمير توقي وسلطان غيابك لم يزل قائما .

غير أن النازلة أكبر من أن تحسمها حرب وطيس أو قتال محموم بين كلمة ونغم...

وأن مِنحةُ الصبر من محنتي أوهَن..

فمتى كان يورق الصبر بين همسة وتوقها؟!

فـــ يا غائبي..!

ليس على الأنغام حرج...

ولا على الكلام ملام ...

ومن أين نبتديء الحكاية أو كيفها هل يُجزيها كلام...؟!

ولو تكسّرت نصال الحروف على النصال هل ستأتيني بك حلما يصدقه المنام؟!

وكائنا ذو ظلٍّ عظيم أراك ..

كائنا أعظم من أن تستحضره الألحان او تستنطقه أعاجم الحروف ووسائط الكلام..

وأن التشبّث بعروة الأنغام لا يكفي لإطفاء نار متّقدة الشغب ذات لظىً واحتدام.

ويتسربل الليل نحو هاوية الختام..

والأغنية نحو حتف الإنقضاء تسير...

ووجه الحل لا زال مجهول الملامح ذابل القسمات..

ومن أين نبدأ الحكاية يبقى سرّا مجهولا يختبيء قدرا في منقار طيرٍ أعياه الغناء ،

فلا الريح الشرقية تمنحه وجهتها ، لا ولا الغربية تُجزيه الأمان .

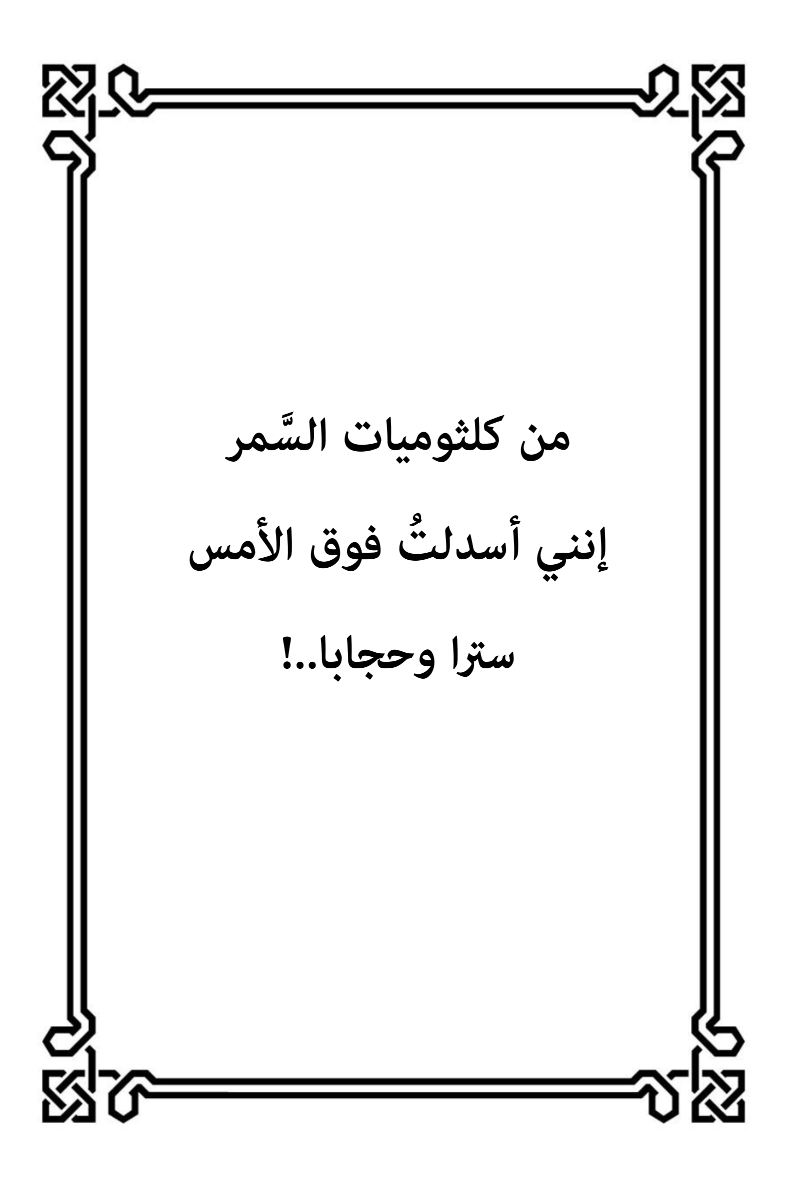
ولا يزال طيفكَ رغم انحسار الليل وغفوة الكلام..

لا زال سراباً نحيلُ التجلّي بخيلُ الحضور..

لا زال بخيلُ التجلّي والحضور ..

لا زال حضوركَ بخيلا ....

ولم تزل .



من كلثوميات السَّمر

إنني أسدلتُ فوق الأمس

سترا وحجابا..!

إنني أسدلتُ فوق الأمس

سترا وحجابا..!



أيها الأمس المخلّد في جَزعي:

مُحتمل الجنون مني قد دَنا..وازددتُ كيل

وجعٍ..

وقتَ اقترنتُ بكَ واهمة لأُنجب من صُلبكَ بنيّات عاقرات عابثاتٍ موجعات ..

عاديات في الضحى ..مُغيرات في الصبح..مؤرّقات في الظلام....

نقيعُها يحارب النور المتسلل الى زوايا حدقتي..وشرّها يهدّد الدلال في عزّ صبوتي...

فنأت بحِملها النفس حتى ألقَت ببهجتي وتخلّت.....

فيا ماضٍ تجرّأ على روحي ومهجتي!..

تَنحَّ ودع عنك نفسي.. ودعني اغنّي مواويلي للآتي وهمسي..فلقد تعلّقت بأحلام تجاوزتني طولا وعرضا..وعشقت الوجود فما برح عشقي يخالجني..ونذرت للقادم نفسي، فلتقرا قبيل الرحيل على روحك السلام وعليّ بسملة التحرير والخلاص..فمغلّظة أيمان اللارجوع..مرفوضة سنن الركوع..ولن أُلدغُ مرتين من جحر الخضوع....

ويا أيها الأمس المتجلّط في شرايين خاصرتي :

الى متى..؟!

الى متى سأضلّ أُصلّي خلف أمسيَ المُنصرم..اعتنق مذهب الشتات وأبقى له من التابعين..أتقوقعُ في محراب الزمن العتيق المنقوشة على جدرانه صحائفي..أُقدم فرائض الطاعات لوحدتي..

وأغتصب حرائر الروح واحمل الى يوم يُبعثون وزر خطيئتي..؟

فما ضرّني لو أصبحتُ اليوم في عِداد الناكرين لأمسهم..وأمسيت عن تعاليم وجعي من الغافلين..؟!

فيا أرقاً تمادى على عذارى رمشي

ويا قصصا فاضت بآلام ماضيّ وأمسي

يا وهما استباح روحي وحسّي..

يا بقايا البوح المجدّل بالأنين وهمسي

يا قلبا مسّهُ الهمّ وطالهُ دبيب يأسي

إليكم بالنبأ اليقين:

إنني أسدلت دونكم ستائر النسيان ..وضربت بيننا بسورٍ باطنه رفض وظاهره عذاب ..فما عادت النفس تهوى احتطاب الآمال من يَباس أشجاركم،،ولا شرب الماء الآسن من مستنقعاتكم..ولا تنفس الهواء المكتظّ بالسموم من أنفاسكم... فغروب الروح قد دنا وهدّدا..والأفول قد تدانى وتوعّدا..والنفس ذات الرجع أعياها النداء..والروح ذات الصدع قدّدها الشقاء..والريح ذات الصرصرِ مزّقت أشرعة الرجاء..

فيا سامع النداء في عَلني وهمسي!..

دعني انعم بقطيعة من الماضي وأمسي..لأحيا في ظلّ أحلام لا مقطوعة ولا ممنوعة ..فساعدني يا مولاي كي أتبرأ من أعقاب رجسي..وأعتنق التفاؤل فلا خاب فيك ظنّي و حدسي.. فما عدت احتمل ما ذاقته نفسي. .

فدعني اسعد بالآتي..

فهل غدا سألقاك يا سَعدي وأنسي..؟

أغدا ألقاك حقا يا وحي الأمان وأُنسي..؟!

فسلام عليّ الى حين ألقاكَ يا وعدي ُوحين أُبعثُ حيّة من تحت خيبات أمسي .

فيا أشباح وهمٍ تغذّت باسم الحظّ من دمي..

يا جنيّات سراب شوّهت بأظافر الذكريات جيد الشباب وتطاولت على ألقي وأُنسي...

يا أيها المؤتمرون المتآمرون باسم الوصاية على أمري ونفسي..

نادى منادٍ من لدنّي بقتلكم فلا ناجيَ لكم اليوم مني.

فأنا منكم براء وانتم في حلٍّ مني،،...فسيحوا في مشارق الأرض ومغاربها أحرار طلقاء فلقد عفوت عن نفسي..وتجاوزت عن سيئاتي..وكفرت بمذهبكم وما عدت أخشى سطوتكم ولا كل ما طواه أمسي..

اذهبوا..فلقد تاقت للصفاء للأفراح للانشراح للانطلاق نفسي

..فدعوني في صبابتي فلقد غدوت من حظّي قاب قوسين وأدنى بعدما عزّ اللقاء..

فاذهبوا أشياع ماضيّ بكل أشتاتي ورجسي ودعوني..

فأنا منكم براء وانتم الطلقاء ..دعوني واذهبوا فأنتم الطلقاء..

ولتعلموا..يا كل أتباع التأسيّ انني قد أسدلت فوق أمسي سترا وحجابا..

انني أسدلت فوقكم وأمسي سترا وحجابا..

انني أسدلت فوق الأمس سترا وحجابا.



أغداً ألقاك..!

أغداً ألقاك..!

أسترق النظر!..

من خلف رؤيا حمقاء البصيرة...

لحلم يشاكس الأحداق.وفي النفس منه لسعة من قلق..

وأُلقِ السّمع لصوتٍ يعبثُ بفوضاي ، فيدركني نبض مدجّج بالآه ،مثخن بالجراح..يغرس ذاته في طين أوصالي فأُورقُ وجعا...وأُثمر اشتهاءاً وابقى على قيد الخريف أحتضر....

من أمامي شوق يضّطرم، ومن خلفي حنين يحتدم ، وأثنائي حواسّ تثور تعلو تهوي ثم ترتطم...

وأنا أتقلّب ما بين الحب والحرب..وقت تسكب من ماء ريقها المدّاح في اناء الوجد سعيرا ولظى .

وهي!

لا زالت تستبيح أحياء الليل ..تستلذّ القتل ...تناورنا على الشتات..

فـ - هي والحب - رغبتان عالقتان بطينتنا منوطتان بنا كقدرنا.

لا زالت رغم تآكل الوقت على صدر الأنام تبوح بسرّ الوجد وتغنّي...

تغني احتراقاتنا اشتهاءاتنا انفعالاتنا غصّاتنا ..وكأنها الريح تنفث في كانون شتائنا وتثير...

ولا زالت ،وبكل عنفوان ورغم صرخات الأنين فينا ، لا زالت تسأل وتستكثر"أغدا ألقاك"؟

آآآهٍ سيدة الوجع!

كدت أن أبرأ.. أن أتعافى من عُضال الحنين ..حتى شهقتِ بالوصال

،فاندلقت عليّ من قناني الذاكرة صنوف العذاب..وانهمر الماضي من ثقوب حروفكِ المجدّلة في قوافي "أغدا ألقاك "عَسِراً له نكهة الملح...

تساؤلات...

تساؤلاتٍ عادت لتفتح مدائن الشوق الغافية فيّ منذ عدة شتاءات بربرية...

فـ خفّي وطأةً سيدة البوح والنَوح..

فـ سؤالكِ الكظيم يضرب بي عرض الخيبة...يملأ فراغي بالفراغ ،

يملأ طين الانتظار بالانتظار ويسخر،

فها هو الماضي يعود لي برمّته وما عاد هو؛ ما عاد.

لا زلتُ انتظر غد اللقاء..

لا زلت أتلمّس غفران الليل من ميثاق الوعد الغليظ ومن خطيئة الجنوح نحوه....

لا زلت اذكر تفاصيل التفاصيل حتى كلّ كُلّي مني ومن ذكراه..

فـ هل يتغير يا كلثوم..؟!

أيتغير وجه اللقاء كلما امتدت بيننا المسافات..أم أن ملامحنا القادمة من أزمنة التخلّي والغياب قد تحجّبت ،

واختفت تضاريسنا خلف أضواء السنوات الباهتة، والتهمتها كدرة وعلتها قَتَرَة ...،

والنفوس - تلك العائدة من وراء الف ليلة وليلة بكماء ما خطبها،

أمطمئنة،مريضة، سافرة أم صادقة؟

يا ذاك القلب العصيّ عن الخفق لسواه!..

ألا زلت على قيد النبض ..ألم تتعثر بشهقتين ودمعة...أنسيت يوم هجر وتخلّى ورحل بلا وداع، انسيت ليلة ارتسمت الحياة دمعا على مفارقنا..؟

هو لن يعود..

لن يعود يا قلبي..لن يعود يا كلثوم فلا تسألي ولو مرّ كل الغدِ أبدا لن ألقاه.

فلا زالت ليلة الفقد تُعيرني لون الخوف ..ولا زلت أجلس وحيدة بين ذات يمين وجعي ويسار حاجتي اليه..وبيدي قسيمة الوداع وحلم مشنوق وحب مرجوم بلا ذنب او خطيئة.. ودمع ساخن ساخر.

أفبعد الذي انقضى سألقاه؟؟!

أحقا غدا سألقاك !..

أألقاك يا وجدي ، وهل يكفي..؟

أأنتَ أنتَ ام تشبهك؟

ألا ليتَ الزمان..

ألا ليت الزمان .



فكروني..!

فكروني..!

أنا والليل والحنين ، و..... !

و....."فكروني " تمضغني وتستسيع...

و..ريح لعوب تعبث بزهر الإشتياق ،وتُدلي بوشاية اشتهاء، ومطر يبلل جديلة العناق ،

يُذيب ويُعرّي ..

و... شيء ما يتربصني ، يقعد لي كل ذي مقعد ، يشنقني برموش الوحدة وبجدائل الليل .. بأوتار الشجن وأنّات اليباب...يذيبني في رقرقات دمعي..ثم يخلعني من ذراعات

الضوء و أعناق النور ويلقِ بي هناك هناك...هناك!

ها هو الشوق اللحوح ..المندسّ كيدا بصوتها قد عاد..!

عاد يتلو أعراف العشق المجيد على أضلاع الـ سَّمر..

عاد ليمنح مزاجية الليل فيّ حقا..يُلقِ بي في أرضٍ بوارٍ طلعها هشيم ، فـ تلتف حولي غربتي كأنها قطع الليل الأسود ،وأنا في ضياعيَ المحتوم أحمل تنهيدة متجلّطة وآآآآه.. أتفتّق بين شقاء النسيان وسطوة الذاكرة... فـ أراني في صخب الحياة كوكب مقتول الضوء مرتحل، لا شرقيّ الجهات ولا غربيّ....

وأبقى أنا وحدي..!

عالقة بيني و... فكروني"..

بين الحمّى والارتجاف....بين الوفاء والنكوص.. بين أنفاسها وذكرياتي والألم....

فـ كفاكِ يا كلثوم والشجن...!

أريحي النفس واسكُني ، فلا حاجة لي بوشوشاتكِ و بأحاديث أهل الهوى كي أتذكره.

فمن قال..؟!

من قال بأني احتاج لأن أقف على أبواب الذكريات كمتسولة طمعا بكسرةٍ من ذكرى؟!

من قال باني احتاج لأوتار اللحن الحزين لأقف على أطلال الشرود وأفتكر؟!

من قال بأني أحتاج لمن يرسم لي درب الوصول لأيام مَضت خلف الصباح ؟!

من قال بأني أحتاج لهشيمٍ كي يوقد احتراقاتي؟!

فلا حاجة لي بـ-فكروني- يا كلثوم كي افتكر:

فـ أنا لم أغادر جرم الهوى.. ولم أساوم ناطحات الكرى وأعاصير الحنين ..ولم أقاتل أرتال الضّباب العالقة في سيقان المَسير....غير أن الروح في رحلة جبريّة نحو الهروب ،نحو النسيان المغشوش والنكران المُفتعل ..وعودة قسريّة من زقاق العاشقين ومن دوحة الخيال ... فـ لعلّ الهروب يُعيني على احتراقاتي ووحدتي في ليل الجوى...

فـ يا وشوشة النبض المعمعم في جوانحي:

يا ولهي الوثير ..!

سابقتُكَ اليك قبل موعد النضوج بموعدٍ ...

تشرّبتكَ قدرا كريما .. وترعرعتَ في ربيعي هفهفاتٍ من عبق الصفصاف ،وسكراتٍ من حنين البنفسج. .

فـ ليست تلك بذات المُعضلة:

فـ بوسعيَ ألاّ أنساك دهرا، بوسعيَ أن أُقيم لك قصرا في ذاكرتي لا تَبرحه أبدا...

و... بوسعيَ أن أغتسل من بقاياكَ العالقة في دمي...أن أستعيدَ أشيائي منك .. أما الروح المُغتصبة وعذرية الأحلام المُنتهكة فعليها كيف أسامحك ؟ .. ورفاتي من قبورها كيف أحيي عظامها؟.. والأنفاس المنثورة كالعِهن في رحاب الله كيف؛ كيف ألملمها....؟ ووشم الشغب وحناء الليل على جسدي من سيمحو طالعه؟

والى الطفلة البريئة التي كانت تلهو في خلجاتي مَن..من سَيعيدُني؟ .

فحسبكِ يا كلثوم بي شغبا..

وحسبكِ بذاكرتي عبثا...

فلا حاجة لي بدندناتكِ كي أتذكره .. فهو كما التَّوق اللحوح يتأبّطني شرّا..

فـ اليه يا كلثوم بلّغي الخِطاب ، وأثقلي اللوم والعِتاب والقِ بصخب السؤال...واعبثي بذاكرته المتجمّدة...

فـ هو من تخلّى وهجر،من تجنّى وظلم..

هو من نسيَ يا كلثوم وهجر..

هو يا كلثوم من نسي وتخلّى...

هو من تخلى .....

هو...



إسأل روحك..!

إسأل روحك..!

جفون النهار تعلن إستسلامها لإرادة الرَّحيل...

وشهيق الشمس تَعالى برجفةٍ من حُمّى الأصيل ...

والغروب بسملة تتفتّحُ على بركاتها سَواسن السَّهر..

وساااارية نحو العروج روح الضِّياء.

و....

فَمُ الشَّفق نبيذّيٌّ أنيقْ..

ينزّ بغَنج هدأةٍ معقودٌ بنواصيها الحنين، يَشي بخجل نجمةٍ تبعثر في زجاج عينيها الكَرى ، وأزهَرَ على روابي خدّيها الرّمان.

وأنا!..

جاثيةٌ في قرارةٍ مُجدّلة الشَّغف ، أنعى تبخّر النور من آنية الحياة..ووحي الخوف أجادَ تهجّدهُ بكُلّي..

ينساب رفيفُ الدمع فيّ نَجيّا ، أتّكِيءُ على خواءٍ من لهفةٍ غابرة.. وبَعضي يُمزّق بعضي...

وطويييييل!...

طويلٌ هذا الليل السَّاري وهناً في كَسل المساء..

وثمّة بُحّة تسلّلت من حلقوم يمامة الذكرى ، تسلّلت تعبثُ بشذى الّليلك النابتِ في حدائق وجداني،

وثمّة لحن ناحَ لغصّتي بحُنجرة مصلوبة على أعمدة القَصيد..و...

وكومة اختلاجاتٍ تحدّرتْ من صَدر عودٍ ورفّةُ وتَرْ.. تنافس رقّة المنَثور المتعلّقِ تِحنانا بشرفات شوقي..

وعلى قُبلةٍ منها استفاقت أميرةُ الليل فيّ ،

وكبُرت سيّدة السَّمر...

كبُرت سيّدة السَّمر

تلك التي!..

ما انفكت تمتطي صَهوة الليل الطَلَيق..وتعتكفُ في كهوف الشغف يقيناً يتلو وَحيَهُ على مسامعِ العابرين..

وزلزلةٌ من جوقةٍ بلَغَ الليلُ زُباها..

و.. أميرة التَوق..

تحترفُ الشجن..

تحتلُّ مدائن ليلتنا القَمراء..تستنهِضُ مقامات العَناء بلحنٍ جارف التجلّي ، تمُدّ سحائبها الكريمة على جُدبِ أرواحنا..تَهُزّ خصرالنشوة ليكبُر الحبُّ فينا ابتهاجا بين لُفافات اللحن وحُسنُ الكلام ..

وفي عيون الكون وأنغامها تتجلّى ملامحُ وحكايا من إثر العابرين..

فحنانيكِ سَفيرة السَّمَر!..

فكل شيء في ليلتي بحضوركِ يُثرثر..وما بين حَيثيْ وحيثُكِ أنتثِر..وسراجُ الوجع بدمائيَ يشتعل ...

وثمّة نزاع يَمور بفتوى عتابٍ يَطالني بنصُبٍ وتعَب..والواقعةُ بلا ذنبٍ فيّ تسعى ..

فأيُّ احتراقٍ أُريدَ بهَيبتيْ هذا المساء؟!

فـ يا قوتَ إحساسي أنا!..

همّازةٌ لمّازةٌ وساوس الحنين..مُرهِقةٌ قادحاتُ الشَّوق العظيم.. مُترعَةٌ بالشِقاقِ أضلُعي ،

ووحدتي من وحدتي تِفرّ ، وهوسُ الحيرة فيّ يَضرِبُ كفّاً على كفّ.

فـــ يا سَميرة الشَّوق في ليلتي انا!..

يا ترياقَ الحُبور!...

فُكّي جدائل همّي ..وغنّي التَوق جَهرا عنهُ وعنّي .. بعصفٍ ثَريُّ الدَّمعة ..

كوني مطرا من عفافٍ يغسلنا من إثم الغَفوة.. القِ بقميص السَّلام على أرواحنا ليرتدّ الينا شروق الرّوح طُهرا...ودَعيهِ!..

دعيهِ يسأل روحهُ عن ظُلمي ؛ عن صِدقي وعنّي..

عن أعراس الدوالي في كرنفالات ربيعي.. عن ليالي حبّنا البيضاء ، عن مسالك الشمس في عينيّ ..

وعن زمن فرحتنا الأولى ..

فأعِدْ رجوتكَ يا مُقلتيْ!..

أعِدْ دوزنة اللِّقاء بعفوٍ يشرح صَدر النّور ، واصطفينيْ بهجةً يا عمر الوداد ..

ولا تتركنيْ في خَوابيْ السُكرِ أختمِر

فــ عصفُ الحنين ثريٌّ جدا

متناثرٌ عِقدُ صَبري في غيابكَ سِرّاً سرّا...

متساقطٌ حَبُّ الحنينِ دمعة دمعة...

فاسأل روحكَ عن روحي ؛عن حالي وعني

ولا تتنصّل من إثمكَ والغياب....

إقبِض عليّ وجعي...

أقِم في مدائني الى ما لا يعلمون

وأَزهِر فيّ كرَّةً أخرى..

ولا تَدع الشَّكَ يودي باليقين..

فـــ أنا عِشقُكَ وربّ عينيك

أعشقكَ أنــا وربّ عينيك .



الحب كله..!

الحب كله..!

الليل استثنائيّ المزاج مائل العرجون..

و..وحدي في هَجعة الدُجى وتنحّي الإصباح ،أنوءُ بحِملي تحت سِدرة أنفاسها العتيقة وقرع أجراس الصهيل ،

أُقارع إلحاد القلب العاطل عن القرار ،الممتلئ حتى عشيّة العمر الآتي بالإصرار.

في ليلها يتوقّد الشغب...تستفردُ بي الذكريات المعلّقة بين همسها والشجن...

فيستفيق بلا استئذانٍ حُبيّ المطرود المشرّد..يتسلل بدهاءٍ

من تحت قميص الليل المشقوقِ من فوق منتصف المَقتل بقليل

أناور للهروب من بكاءٍ تغمّد الروح بالنِزاع... وقت تعلّقت أتربة الجسد بين العُمق والآفاق...

وترنّحت بقايا الشهقات بين التُرقوة و الأعناق..فــ كيف..

كيف أتّقي شرّ حبي وذاك الصوت العاصي المتمرّد يتحالف ضدّ شجاعتي ويَعدني بالجنون؟!

أسمعها!..

فأستعدّ لاجتياحٍ مأهول بالاضطراب... ولنشوة محشوّة بالأنين..أتبرّج بلا احتفال ،

وأرتحلُ بلا متاع لآسرٍ مستحوذٍ مستبدّ...وأستنفر لانهمارات ماء الحنين على طين ذاكرتي ،

فأغوص حتى أخمصيْ في وجعٍ يخوّلني الوقوف على أطلالنا هناك..هناك!!..

أسمعها!..

فيدركني ليل طويل طويل ، يتوعدني بحمّى المواسم الغاديات..

يتثآب الوقت في رئتيّ..ويكفّ الدم عن الدوران إلاّ حول محور الذاكرة ...

ويستفيق الطير الهرِم المُعشعِش في شِعابي ليشاركها النقر على دفوف يقظتي،

وصبّ مزيج من الصفير والشجن في مسامعي..

ويستطيب صوتها احتراقاتي...

وتستطيب الآهات المذمومة المدحورة من ابدٍ عذاباتي..

و.. ويغدو صليل اللحن في أوتارها سلاسل من حبال الذهن تشدني للوراء ،

وزلزلات تُلقي بي في رِواق ما لا يعود...

ولا زالت سيّدة الهوى تجيد بعثرتي..

وما انفكّت انغامها رغم تجاعيد العمق تهزّ عروش شراييني وتتوغل...

ولا زالت ترمي بي في حارات" زماني كله "الذي عشتهُ له وفيه ...

ولوقت كان العمر كله" الحبّ وبس."

ورغم تسلّق الصبّار على أسوار الوقت!..

لا زالت شجرة حبي تطرح ولا تكفّ ،رغم تقشّر الجلد في سواعدها العشرين...لا زالت تطرح حبّا طاعنا مسنّا..

وتحمل حوّاسا شقيّة مناوِرة.. وعلى جذعها المغمور في المَضاء قد احتضنت ملامح وجهه الذي لا يشيخ أبدا.

ممتلئة أنا بكِ يا أيام - الحبّ كلّه:-

فهبيني عفوكِ وترجّلي ، فتقلّب الفصول يشقيني ، وأنا وفصلي الخامس من كيدكِ ،

استحواذكِ ، ناركِ براء.

فلا تقتفوا – يا كل الحيارى العاشقين - آثار ليليَ الأشعث الأغبر المملوء بكوابيس خيبتي...

فأنا لم أتذوق شهيّ الودّ إلاّ في قصائدها المغنّاة وفي ليل سَمرها وشقيّ لحنها ..

وفي أحلام الحالمين بليلها..ولم يَعدني الحب كما قيل لي بالأضواء..

فلا تقتفوا مني الأثر.. ولا تعدّو عليّ أنفاسي الحسيرات خشية إملاق الفرح من عشيّتكم وضُحاها.

فحنانيكِ سيّدة الشجن...

وبربّكَ يا وجعي المؤبد..

دعني أتضرّع لروحيَ بالسلوان..

فـ لعل الجرح النازف في ليلها يغفو

ولعلّ الحنين المَنوط بصوتها ينام .



ثورة الشكّ !

ثورة الشكّ !

يا عصف الشكوك مهلا !...

و..حنانيكِ يا ثورة الظنون..

مُطفأ قد غدا بكِ أمسنا.. وليلنا باكٍ قد أقبل ...وصبحنا شاكٍ قد أسفر..وضحانا مريض الضياء ليس بخيرٍ قد أطلّ مصفرّا...

قد تأزّمت بين خرائبكِ المواثيق ... و....انفرطت عراوينا الوثقى....وريحكِ اللعوب قد شتّتت مراكبنا...

فانشقّت أمانينا شقّا...

وانفَطرت أرواحنا هماً .. رَهقاً ووصبا.

حنانيكِ..فأنا!..

أنا..وليل قد أرخى سدوله عليّ كيدا...

و..شياطين الظنون...و.....وكلثوم..و"..ثورة الشكّ " تلوكنا ، نتهاوى نذوب فتُبعثرنا.. نتراقص على قبور الحب بلا وعيٍ فترُهقنا...

ونعاهد جنيّات الخذلان بلا عهدٍ فتلفِظنا...

ولا شيء مع الصباح ينجلي..ولا حمّى تتبخر ولا أتغير.. وأبقى!..

أبقى أنا...أنا الغارقة في امتزاجات" ثورة الشكّ "وجنوني...

أقطن جبال همٍ لا تَميد....أرى من على قممها بعيديَ البعيد ، وأستشفّ من خلف كثبان اللحن عطرنا القديم ،

تلوح لي لحظاتنا الأجمل خجولة مشلولة بكّاءة صغيرة صغيرة....فأهوي من عَلٍ الى قيعان مآتمٍ ورثاء ، وقت يرهقني السمع لتفاصيل النكوص وتجنّي الظنون وابتلاءات الشكوك.

وما خفيَ من وجعي وربي كان أعظم.

لله! ..

كيف يغدو اللحن الرخيم أنينا، والأنغام معتّقة بخزامى يابسٍ مطحون.... والكلام الرقيق حجارة ترجم تنهيدة بتنهيدة..

والحنين كيداً ملموسا ومحسوسا. .والذكريات خمرا من حُصرمٍ وعلقم؟!

وكلثوم لا تكترث ، لا تصمت..لا صباح يثنيها لا مساء...

ما انفكّت تخط بأصابع الوجع للشكوك تواقيعها..و تدلي بتلاوات وجعٍ مرتّلة ، و تقصّ" ثورة الشكّ " على مسامع الروح طولا وعرضا..

وعجاج الظنّ يطبع على جبين القلب قبلة ملوثة بغبار الخديعة...

وما خفي من مرارٍ كان امرّ.

كم اكرهُني ضعيفة!..

كافرة بالحب لا تتوب

وتلميذة في معاهد الخيبات لا تتعلم..

ففي ذكرى الأجل المنوط بي قدرا وجدتُني!..

وجدتني أعتلي ذروة الصاعقة بإتقان...وأقتَفي آثار القضاء برضىً.. أستبسل غناءاً بحنجرة غزيرة المصاب ....

أتعالى في ليلها المدّاح نحو أرفلان التشظّي ومعارج البكاء...أغدو وجرحها المصلوب على مواويل الوجع في عُرف المصيبة سواء...

أتأبّط ظلّ خيبتي... أحمل بلا إكراهٍ عتاد الجرح ومعاول الظنون...وأدثرّ جثمان الحب المُراق إهانةً في صحراءٍ خالية الوجدان... وأمضي..

أمضي حُبلى بعاهات المستحيل ومواليد النكسات ..

وما كان من ضعفي وخالقي أغبر.

فـــ كفاكِ يا كلثوم ..و" ثورة الشكِّ " و يا ظالمي كفاك:

قد أرهقني الركض في مضامير الإقناع وأرجاء الترضّى وطرائق التصحيح.. والدوران حول دروبكَ المغلقة الإستجابة..حيث لا رجاء..

لا صلاح لا إصلاح لا تصديق لا انفكاك فكفاكَ..كفاك!..

كفاك أيها المصاب بحمّى الشكوك!

فوعدك جمر تلظى ..ويمينك غَموس غموس

قد أزهقتَ بالشكّ أرواح الوصل بيننا ..ونحرتَ بالظنّ ليالينا البيضاء المطلّة على فجرٍ طويل وإشماسٍ عريض..

فـ ...استغفر من إثم ظنك وأغتسل من طين أوزاركَ فظنونك جحيمٌ وسَقَر... وما خفيَ من إثمك كان يا ظالمي أكبر.

فالى متى!..

الى متى سأبقى رهينة الشقائين "حبّك والظنون.. "

فكفاك كفاك..

فما خفي من ظلمك إيي وربي كان أظلم.

ما خفي من ظلم كان أظلم...



انت عمري..!

انت عمري..!

كل شيء في ليل سَمرها يُضيء..

صوتها الآسر يتآمر والليل على روح الأنا القابعة في خَوابي وَلَهيْ..

تمتماتها تَسري فيّ كالدبيب ،تعيثُ في الروح فسادا ، وتَرثني بريقا لاهجاً في فَتق السَّواد،،

أنغامها تقتحمني عنوة ،تُجبرني على التَسامي فوق الأبعاد وفي حِياض اللامألوف...

و مع ذرات نشوتها ألِجُ نحو أرفلان العُلا وأتمدّد بنشوةٍ نحو الأثير الخالد..

وأتمطّى الى آخر حدود الوقت لأتذوّق إكسير الماضي الجميل..

معها كل شيء يستفيق ؛بنفسجي الذابل وروح فيّ ما انفكّت تحترق..وذاكرة تنزّ بآهٍ تتبعها آه ، وراجفة تتلوها راجفة..كلها؛كلها تستفيق .

معها أهذي للصباح في جوف الغَسق،،وأنادي السُبات في مآتم الأرق.. تذرذرني سفرا لا ينتهي نحو أسوار الشفق.. ..تنثرني هَباءا بين قسمة الحظّ ونصيب القدر،

تغمسُني في بريئآآت الطفولة،وتهديني لعقيمات الذكرى وذابلات الحلم وللهيب القلق..

وما أنا لها وفي تباريحِها إلاّ رسول شوقٍ قد تمطّى على كفوف نشوتها جيئةً وذهابا،طولاً وعرضا..

ريثما يستحيل الخافق الى نثرٍ من ألق.

يجمعنا في ليلها المشحون نداء الآآه.. ويَفرينا وجعٌ ولهب، يذرفنا الحضور دمعا،

ويهتِك الوله منّا شفيف الجراح.. وسلاسل الحنين الناضجات تؤرجحنا بين الهدوء والصخب ، بين الحقيقة والخيال...والكل في الهَوى ينتحب...

أتدرين يا سيدة البوح أنّي أشبهُكِ..؟!

لصوتكِ نحيب يشبه أزيز قلبي..ولقلبكِ حريق يشبه احتراق جوفي...وكلانا نذوب صَبابة في دنيا البوح والغرق..

وكل شيء في ليلنا يحترق :الروح والمشاعر والقوافي والأماكن والشعر والورق...

أشبهكِ أنا !..

غير أنّ الروح منكِ باقية في تفاصيل العشق في انسكاب الحنين في احتراق الليل في جوقة اللّحن وغياهب المعنى...

أمّا أنا فلم يبقَ مني بعد أن أزِف الرحيل وأذِنَت ذات العَصف بالغياب غير الجسد ؛غير الجسد.

أنت عمـــري!...

سمعتها منكِ يا كلثوم مرارا ومرارا وفي كل مرّة أجدها أحلى وأجمل...مؤلمة أكثر..مؤثّرة أكثر وأكثر ...

وكيف لا ..؟وهي التباشير التي أدليتِ لي بها يا سيدة البوح حتى قبل مولدي..وكأنكِ تدرين بأنه من كان وسيظلّ مهجتي وعمري..

في كل مرّة أشعر وكأنكِ تقولين لي وعني.. وفي كل مرّة اقرأ في تفاصيل قصيدتكِ قصتي..

وعلى وجه الحكاية المغرورق بزبد الأفول قد ارتسمت ملامحي..وريقيَ الهارب من فنجان الحظّ ونشوتي وقت اختلاط تفاصيلي بعمقه يشهد..

يا من كنت" عمري "ولم تَزل!..

لتُخبركَ قصيدتها العصماء..وليخبرك تاريخيَ المحشوّ بين أنغامها ولحنها والكلام ،ليخبرك الكلّ أنّي:

أني الصادقة كنتُ وما زلت.. وأنك العمر كل العمر كنتَ وما زلت.. حتى لو خاب في هواكَ ظنّي...

وانكَ الجنون الممتزج بدمي سرّا.. وانّي نصّبتك مليك الروح جهرا..

وانكَ يا عمريَ الربيع الحالم المشرئبّ في حدائق أوردتي طولا وعرضا،

وقطوف الزهر النابتات رغما في حناياي والشاربات من كوثر دمي صَبابة وهياما وخمرا...

سيدتي:

عبثا أُحاول لملمتي، ورغما أُحاول ترتيبي..فلم يبعثرني صوتكِ مجددا..

وتذرني أنفاسكِ معلّقة في سَديم الذكرى كسحابة تائهة في ملكوتٍ ذي اتساع

تهزّ أركانها ريح زمهرير مكتظّة بالوجوم...

فإلى متى..؟؟!

فلتخبرني روحكِ المقيمة في اللحن الرخيم الى متى..؟!

الى متى سأبقى أسيرة ليلكِ سميرة بوحكِ نديمة آهكِ ..الى متى سأظلّ أغرق في دندناتكِ حدّ الثمالة ،

وفي جهنّم غيابه وجنّات نشوتكِ سأبقى أتأرجح بلا مستقرّ عاجزة لا تملك

غير دندناتٍ لاهثات نحو رحاب حضرته..؟

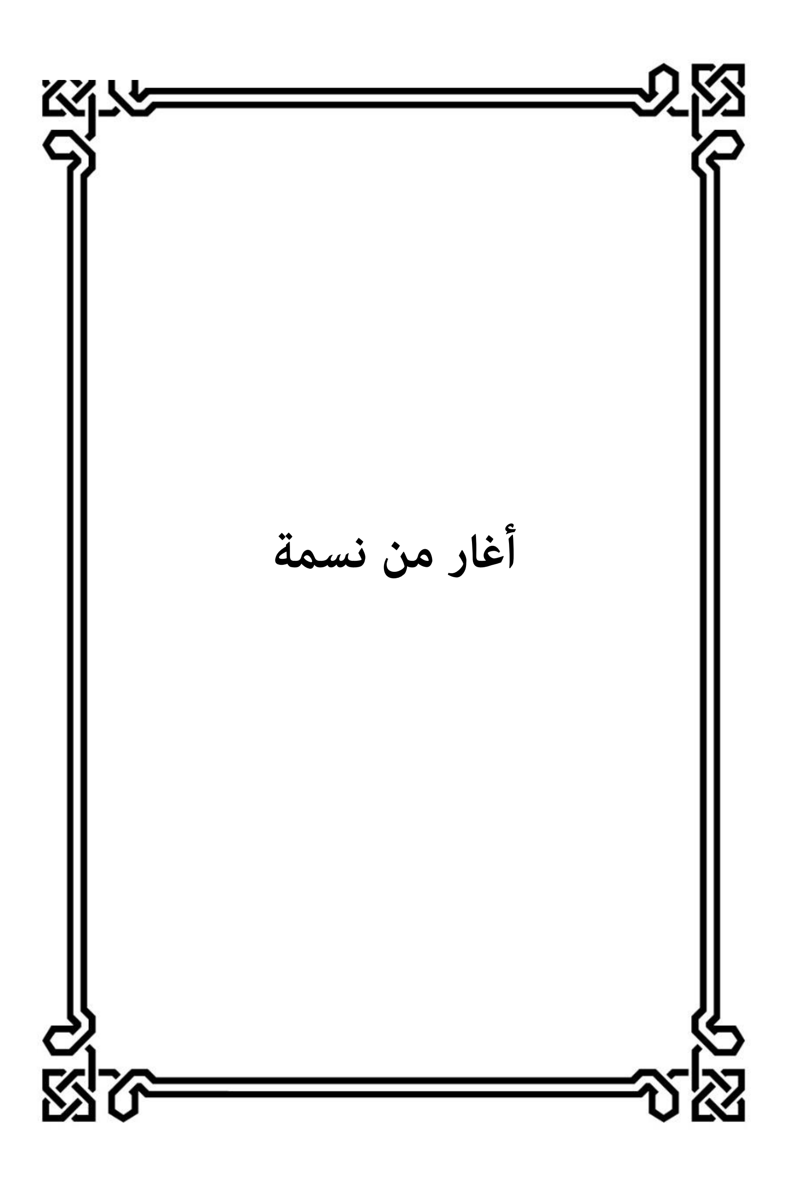
فليتَ بمقدوري أن أغدو دندنة في لحن اليَباب..أو كلمة في فم القصيد أو هذيانا في كأس نشوتنا..

أو فراشة تزوره سرّا وجهرا..لنغنّي بين يديه وله أنا وأنتِ يا كلثوم" انت عمري .."

لنغنّي له يا كلثوم" انت عمــري"....

انت عمـــــري...

انت عمـــــــــري....



أغار من نسمة

أغار من نسمة الجنوب !

لولا انه قَدر عليّ مقدّر!...

ولولا انه حَرام ومحرّم!...

لوددتُ يا عديل الروح أن أتعلّم من فنون السِحر شيئا لأُنسيكَها ؛ تلك المحظوظة بعشقك ،المحتلّة لقلبك ، الساكنة في حرفك.. تلك التي اجتبتكَ اليها عُمرا فأحللتَ فيها كبائر العشق وما خلاها لديكَ هَباءا ليس يُذكر...

فيا ليتك تُدرك يا أبهى أمانيّ كم أتعذّب من هوىً يُشغلك عنّي ويدنيك منها أكثر، فكلما ازددتَ منها اقترابا، اشتعلتُ أنا أكثر وأكثر.

فطوبى لربىً هي لك سماء وانتَ فيها القمر...

وهنيئا لوردٍ يُهديك من شذاه شذاً كلما حلّ السَحر...

فليلها في عينيكَ مرمر.. وفجرها في خُلدكَ عنبر...وكل شيء في أرضِها يُبهجكَ ويُغريكَ ويُسكِر...

فكم أغار منها!...

كم أغار من شمسها من قمرها، من نهارها من فجرها ، ، من زهرها عطرها شروقها غروبها ..وكم تغيظني نسماتها الجنوبيّة وهي تراقصكَ في إيقاع مُثير،وتدنو لتعانقك بلهفة، ثم تندسُّ بخفّةٍ الى عُمقكَ كما العطر لتفتِن وتُبهر... وفي بحورعينيكَ تُسافر وتُبحر ...

فيا ليتني كنت ريشة في مهبها ،أو فراشة في سديمها...يا ليتني كنت في أديمها قطعة سكر..أو في غيمها حبّة مطر... ومنك وقتما أشاء أدنو ،واليك وقت ما أشاء أعبر!...

يا ليتني كنت ذرة حرّة تَمورُ في عَجاجِها ..فلربما أحببتني مثلما أحببتَها، ،أولربما أحببتني أكثر ..

فيا أبهى أمانيّ!...

احبك مثلما هي تحبك..

وحتى أني أُشبهها ؛ وأكثر..

فعطري كعِطرها ،ما زال اليكَ يسعى في جنونٍ وشَغب..

وبي من سمائها شَبه ،فحروفي نجوم وقصائدي شُهب..

وشتاؤها يشبهني ،فكلما اشتعل رأسها شيبا تلظّت مفاصلي بلا لهب..

وأنا كطيرها ؛ ما انفكّ يطارد غيماتها الشاردات ليقتفي آثار العمر المطرود من عمره وقت اغترب....

وعميقة أنا كبحرها، نقيّة كمائها ،شامخة كسمائها ،رقيقة كطلّها.. غير أنك نَسيتَني واجتبيتَها...

والآن!..

ما عدت أُطيقُني بدونكَ..اني أتيتكَ هاربة من بلاد الصقيع الى بلاد الشمس ،أتيتك بمعطف الزُهد لأنتَبذ لي منك مكانا جنوبيّا..وخلعتُ نعليّ في أرض الماضي ووطئتُ أرضك حُبّاً ...

فاقتسم لي يا أنيسَ الروح بعضا من حظِّها..واعطِني بعضاً مما أعطيتَها..وهَب لي حبّا ووفاءا ،شِعرا وهياما مثلما وهبتَها، واصبر عليّ قليلا حتى أُزهر مثلها...

فإني أخشى يا أبهى أمانيّ أن تُطوّحني هبّات النَوى ، ثم تُصفّق على قبري إذا ما قضيتُ نَصرا..

أخشى أن تأخذكَ الحوريات القادمات إليكَ عَبر الهَبوب قَسرا...

أخشى أن تأخذك مني تلك الجنوبيّات قَسرا ..



سيرة الحب..!

سيرة الحب..!

غزلي رهيييبفٌ رهيف..

و.... مطري سخيّ مترهل القوام..

و.. رفيقة الخيبات بقدرتي تتسلى.. و".....سيرة حبها " تَتلوني ضَياع ، تسلخ جِلدي عن جَلدي،

تجنّدني عنوة في صفوف المشاغبين بلا..بلا عتادٍ أو سلاح.

وأنا!...

انا امرأة مشغولة بالخيال كأشفّ ما يكون...

ثاوية في قبو الكلام ودهشة اللحن وسيطرة النغم ،أتأرجح كخيط دخانٍ بين مقصلة الذكرى

وخَشَبات اليقين ،أتظاهر بالثبات ،غير أني من الضامرين أحزانهم النائينَ بأنفاسِهم الحسيرات ..

وكلما ارتقيتُ بقوتي تلقّفني البؤس وشتّتني الانكسار ، والى الدرك الأسفل من وهني أعادون.

وأبقى!......

مشغولة بالجنون كأجنّ ما يكون..

أهوى عراك أوجاعي وأشواقي العنيدة ،ومقارعة الأماني البائدة ،أفاوض غارات الوجد عن بقائي....

خاوية الصَحو مسبية اللبّ حمقاء الجِنان.

وأُمسي!..

أُمسي ثاوية في رقيم حمقي كأحمق ما يكون..

وقت عشعشتُ غباءاً في صحرائِه الخالية ،و اخترت الموت فيه جفافا ،وارتضيت لسعة العطش..

حتى تسربل العمر هباءا وأنا أراوغ القسمة على النصيب ، أنتظر ما لم يشأ به القدر ...

متناسية طرفة ذكاءٍ بأن "ما أصابني لم يكن ليخطئني" ،فــ أبقى في عمق حماقتي أناور كأضعف ما يكون.

و..أبقى!

ثاوية في عمق المقال..

أحاول سرد عصف هيجاء الحنين بحبرٍ متجلّط القطرة ..واصبع مشلول القدرة..

وسجع خافت النبرة..وبلسان مقطوع البيان كأغبى ما يكون.

فـــ آهٍ يا شقيقة أحزاني!

منفية أنا في كوكبكِ السعيد ،حيث لا شيء إلاّيَ وبوحكِ والحظّ العنيد..فــ كيف أقصّها الحكاية ؟

ومن اين ابتدئ سيرتي، وماذا عسايَ أن اقول أو أُعيد؟!

فــ هل ستكفي العشرون وفوقها الثمانية تلك التأوّهات المبثوثة في عِهن بحّتي؟

فــ عذيركِ ضاديتي!

مكتظّ بلا ترتيبٍ بالحروف مُتّسعي، منكسرة أعضاد قافيتي و يابس عود الكلام...

قد جزّت الخيبات ظفائر شَعركِ،وأطاحت ببيوت شِعرُكِ.. فــ عذيركِ!

وعذيركِ سيدة المقال!

فليست حكايتي كـ "سيرتكِ "تحبُّباً تُتلى ...فشاعرٌ لسان قولكِ ،مقبول اندلاق لهفتكِ ،

محبّب أُنس رفقتكِ ...تنطقين دونما تلعثمٍ، وتسرُدين دونما اختناقٍ...أما أنا!

فــ بشِع هذا العبوس في وجه حكايتي، ومرّ ذاك الخفوت في صفير حنجرتي..

فلقد فاضت الأوجاع عن حاجتي ..فتلطّفي سيدتي:

فلا تحسبيني من حديد، ولا تعتقدي فيّ انبعاث أو جديد كي تستدعي شياطيني المخبوءة

في كنيف وساوسي....فحزني أحمر قزحيّ ،ولساني عاجز عصيّ ،متشعّب دربي طويل ،

لا بداية تُنبئ بالوصول، ولا سامع يَعي ما أدلت به حنجرتي البَتول.

عذيركِ سيّدة السَّمر!...

لا بد أن جدالِي يؤرقك....فـ بِي الف شغبٍ ،الف شغفٍ مما تحملين...

ومن" سيرة الحب "أدهى مما تسكبين ...

فـ أريحي النفس ودعيني ...دعيني يا ذات الحسّ الجسور ،المتمكن مني حدّ الوتين ..

فأنا انثى من انتثار وطين،وما عدت غادة الغناء والتلهّي والمجون... فجسدي ناحل سقيم ،

فضفاض ما تلبسّ بجثتي نادر ما تبقى من كلّيتي...فمن!

من يحبس عنّي كيدها العظيم..ومن يقصّر أكمام الوله ، ومن يثبّت أزرار التعريّ

قبل أن يزِلّ صبري عن ثبوتِه وتتخلى حكمتي عن وعيها...

فلا رغبة لِي ان أموت بتلك السيرَة مرتين...

لا رغبة لِي أن أموت بذات الداء مرتين...



ظلمنا الحب !

ظلمنا الحب !

واني بذلك لمدانة...

وانك لمدان...

وانهم لمدانون...

وككل فعل ابن آدم الخطّاء قد أخطأنا وافترينا وظلمنا الحبّ وتجنّينا...

وما كان هذا حِمىً مُستباح..ولا ذنبا لنا مُباح ...

فلنعترف بأننا ؛وكل أهل الهوى قد ظلمناه وقت علّقنا على مشاجبه خيباتنا وتجنينا...فلا نحن منه استرحنا ، ولا هو منّا استراح...

فحتما قد ظلمناه!..

فكلما دنا منا فرسخا طوحناه ،وتنازعنا وتخاصمنا وتعاتبنا وتباعدنا واتهمناه..ومذ غُصنا في القطيعة سبعين خريفا وتحدّيناه..ومذ سَكبنا على جذوعه من كؤوس الهمّ سُمّا فقتلناه، ثم افترقنا بعد ذلك وقلنا أن الحب قد ظلمنا وأنه من تجنّى علينا واستباح .

حتما ظلمناه!..

وقت صيّرنا من شوقه جمرات تلسعنا.. فتشاجرت على خديه دموعنا ،وتحاورت بين يديه رغباتنا وصرخت حاجاتنا وتمادينا،وقلنا هو من تجنّى واستباح .

وتلك حجتنا!..

أن الحبّ الحقيقيّ قد مات وولى ،وأن الصدق قد تخلى..وما عاد في هذا الزمان خليلا.

ولا زلنا نطوّف حول أوثان خطيئتنا عمدا..

فكيف لهذا الكائن المخلوق منا ،فينا،من أجلنا أن يظلمنا ويتجنّى، ،أن يخذلنا أو يتخلّى ، وهو المؤتَمِر بأمرنا ، القويّ إن انتصرنا ،الضعيف ان افترقنا ،المقتول ان ابتعدنا ،والمولود ان اقتربنا.

أفبعد هذا الحديث يا أهل الهوى أنتم تُنكرون ؟

فهذا الكائن المطرود المتهم المجروح لا بد يوما أن يستفيق ويحاسبنا..

فعذرا يا حب إذ تجنينا!..

فستبقى رغم النكران منتهى غايتنا..

وستبقى أيها الكائن الجميل رفيق الصبا وابن الرَّباب وضياء القمر في ليلتنا ،وجديلة الشمس ورقّة الأنوثة وهدير البحر ومسك الطهر في خُلدنا ، وخمر الشفق وصهيل الجنون..

ونبقى نحن المُغرضون..

نبقى نحن المُغرضون.



بعيد عنك حياتي عذاب !

بعيد عنك حياتي عذاب !

النهار يلملم ما تبقّى من شظايا الشمس استعدادا للرحيل....

ويصبغ وجه الشفق بنحاسيّة فاتنة..

والليل الرخيّ يزيّن رواق السماء باسترخاءٍ يعالج فوضى النهار...

والنجوم الفيروزيّة العينين تغمز للبدر كي يشتدّ عوده...

فيستعرض رجولته في مروجٍ من وسن...

ويصطفّ السمر على حواف الليل مباركاً ومهللا.

ويغدو الليل في مدّه توق وشوق ونااار.....

و... كلثوم!..

تشحذ همم القلق ..

وتجدل ظفائر الوجدان..

تستحضر الليل كرنفالات ابتهاج وزخّات حب..تُحي السُهاد في جفون مسّها الكرى.. و توزع الشوق على الأرواح الهائمة في ملكوت السهر حِصصا من وله..

ويغيب كل شيء في خاطري ألآيَ؛ وصوتها،و... هو ،

و..هي!..

ما انفكت تغمسني في طين ذاكرتي..تلقي بالمزيد من الحطب على قلبي المشتعل..بقصيدٍ يُلهب الحواس ويصيب الجسد بحمّى اشتياق..تناور النبض عن استقراره، وسكر الروح على الثبات.. بمرثاةٍ تفضح سرّي ،حيث "بعيد عنك حياتي عذاب" على حاليَ تشهد..

و..كلّي برفقتها اتقاد...

فما بين الآه والآه ضياع وشتات ،وما بين الكلمة والكلمة كومة ذكريات..وما بين النغم والنغم أرض جرداء بلا حياة .

وملهمة الليل تُبكينا وتسخر..

وتمنحنا ذاكرة مضاعفة...

تستعرضنا على شاشات العقل جذوعاً مقشّرة الوجوه..

تبعثرنا أشتاتاً في تيه اللحن...تعزفنا على ناي الوجع موالا وعبرة..تسحرنا بنشوة مخادعة ، وتذرذرنا بنفثة من آه..

والليل احتضار!...

وما انفك صوتها يفيض حتى آخر السمر...يسريّ في الشرايين المكتظّة بزرقّة الفقد ،يطوّق جيد الاحتمال بحبالٍ تسدّ منافذ الزفرات.

فــ هبيني سيدة الوجع غفوة بين أحضان الخيال..

ودعيني!..

دعيني أعيش معكَ رغبة الوصال خيالاً طاعن الأمنيات...

دعيني آنسُ له في لحنكِ وجودا..ويُسر لقاءٍ بعد عُسر انقطاع، وبعث حبّ بعد رمادٍ وضياع ..علميني الرقص مع الجراح..واحتمال أشواك الوجع..ودعيني التقيه في صوتكِ خلسة كي أتنفس..وفي رقّتك كي أولد..واتركيني أعيش في ليلتكِ أحلامي المستباحة...وامسحي بحنانكِ عن خدي ما استبان من دمعٍ وتوضّح ،وداوِ ببهجتكِ قلبي وما منه تكسّر،وروحي وما منها تخدّش..

و...اجبري كسر الفراق إن استطعتِ بلحنٍ يُبلّغه الآمال..

واخبريه بأنني والدمع في غيابه رفقه.. وأن الزمان لن يغيّرني..ولا الأيام ستُنسيني حبّه مهما غاب..

فلربّما تحقق بقربه الوداد،وخرجتُ من قمقم الألف خيبة وخيبة بيضاء من غير سواد، وقويّة من غير ضعف.. وشامخة من غير انحناء... قبل أن يتقوّس ظهر السنين ،و يتساقط على عتبات الصِبا عمري...فيكتبني الزمان سيرة إخفاقٍ وقصّة خداع.

و..هبيني رجوتك!..

هِبيني غفوة بين أحضان اللحن والدلال..

لأعيش معه العمر ألف عمر من وصال..

فوجودي دونه سراب، وحياتي في بُعده عذاب.." ...

ومُحال نسيانه محال...مهما طال البعد وطال

محال نسيانه محال..

محال نسيانه محال...



أمل حياتي !

أمل حياتي !

ويستطيل جلباب الليل ويستطيل..

ليتعدّى أطراف النهار ، ويخنق وجه النور..

والأصيل الخافت الأنفاس يخبئ وجهه بين سحابتين من عتمة..

والغروب يجتاح رقّة السماء...يتوعدني بليلٍ خاليَ الرقاد، وبنجمٍ متّقد الشغب..

و...يحتلني هذا المساء..

وقهوة الشوق تُذيبني في آناء الوجد ذكرى وشجن..

وناسكة اللحن تُشعل الليل لحنا وطرب...

تفتّش في ملكوت الليل عن أسباب الاحتراق ، ترشّ جبين القلب بماءٍ قوامه الشوق .. وتنادي بــ"أمل حياتي " ،و تتلو على مسامع الروح

"عمري ما شفت حنان في حياتي زيّ حنانك."

وكل الخفقات والأنفاس والجوارح والليل والألحان ، كلهم في يقظةٍ ينعمون..وفي قيامٍ وهيامٍ وغرامٍ يَسبحون.

و....تستمرّ!..

تستمر قدّيسة الكلام بسكب"أمل حياتي يا حب غالي" حطباً على نيراني المشتعلة... وتستمرّ الأخيلة الكلثوميّة في جرّ عربات الحنين مهرولة في زقاق الروح...ويستمر الصوت الانثويّ بقرع أجراس السمر على طبول ولهي..ينكأ خاصرتي بهمزات امرأة مستحكمة تمنحني لليل نكهة هزيمة..وتقدّمني للذكريات انتصار وجع...

و..تستفزّني!..

ويقوى الليل على ضعفي..

"وأمل حياتي " تأخذني اليه، تهددني بذاكرة وقلق، تتفلت رغما عن هدأة الليل نشيجا وضجيج.تقدّ جيوب القصيد ليخرج الكلام ساخنا جدا..

تحرق لفافات الحروف ليضيء المعنى في حدقة الروح، وتخفق ، تخفق جدا بقلب يستحلي الغرق.

و..أغرق أنا!..

بليلٍ محدودب الأماني..وبعتمةٍ تبعثر اتجاهاتي،وبأنفاسٍ تحرث سهول روحي... واللحن المستشيط يستلّ شتلات صبري، والمواويل تستفزّ بروق التوق فيّ...تزفّني لرعود الشجن ذكرى لربيع قد تولّى..

و..تقدّ كلثوم مسامعي..

تخلط ملح الوجع بسكر النشوة..والشوق يُسقط القدرة..

فيجيئني صوته كشلال همسٍ خصب الحنين دفّاق الغرام..يجري بين حقول عمري، يغمرني بشلاّلٍ من وداد، وبدفقٍ من حنين ،

فأغوص في لجّة الكلام المكتوب بدحنون القلب وحبر المقل الى ما فوق حدود الاستطاعة بكثير ..

و..تبقى تلك المستبدّة!

ترتّب ليالي الحب في خيالي ، وتحشو دقائقي بالشوق..فهي؛ والسمر فتنتانِ معلّقتان بأهداب الليل سرّا وخطيئة.

و..أبقى!..

أبقى و" أمل حياتي " نناديه ، نستدعي كرم قلبه ، نستنهض الماضي في خوابيه كنزاً من وفاء...ولكن!!!

آآآه يا راحلة:

خانق هذا الشوق المسفوح في صوتك لحناً وقصيد..ففي كل ساقية للروح منك منفى..وفي كل صخب صداع..

فكفاكِ ،وترفّقي .. فما استحليتُ المنام يوماً الاّ وأنتِ حشو وسادتي..فلا تجعليني ضحية لحسن ظني بكِ...

وكفاكِ!...

كفاكِ تجدّلين سواد الليل من حزني...

وكفاكِ تكحّلين عيون الكون من لوني...

وكفاكِ تتخذينني حطباً لقلق سهرتكِ ..

وكفّي عن طرق أبواب قلبه المغلقة بعصا من وترٍ وأشجان، وغادري بــ"أمل حياتي "كما هو غادر..فلا أبقى على الآمال كي أحيا،

ولا أخلى سبيلي بعده كي أعيش...

فــ كفّي رجوتكِ. .

واخرجي من أحلامي المؤدة..

ولا تستنهضي بأنّاتكِ أوجاع قلبي ،ولا تتخذي من ضجيجكِ حيلة الذكرى،

فلم يعد صبري يستهوي التشرد في زقاقكِ،ولم أعد في بهوكِ امرأة التشظّي والوله..وما عاد باستطاعتي انتظار مدّ الشوق الموعود في صوتكِ..

ولا لملمة املٍ منذ أمدٍ قد تشرّد..وما عدت أهوى العيش في ليلتكِ ألف ليلة من شقاء،ولم تعد " أمل حياتي "تستثير فيّ سوى عنقود من آه وحبّات من حنين..

فـ بربكِ يا شقيقة الوداد!..

قد أشقاني الحلم وأعياني الأمل..وغواية تقبع خلف سنديانة وربيع ..وثمّة رشوة في بهاء صوتكِ توسوس لي بذكراه ..

فاترك الروح كي تنام على مرجٍ من النسيان أخضر ،قبل مغيب الشمس ونحول القمر..

ودعيني في سكون الليل بلا صحوٍ ما دمت أعيش،

دعيني على طريقتي كي أعيش..

دعيني بلا حبّ كي أعيش...



أقبل الليل !

أقبل الليل !

النهار يخيط بحرير أنفاسه نعش الشفق...

وخيول الليل تجرّ أحصنة الأصيل نحو صحارى الغياب..

والسَّمر!...

يتّخذ زينته اشتهاءً للقمر....يسرّح شعره أمام مرآة النهار قبل ان تتهشّم...وحسناوات المساء تجمّل وجه البدر كي يُشرق استعدادا لحكايا ألف ليلة وليلة.

منخورة عظام النوم في هدأة السُّهاد ..مجوّفة أحداق النُعاس ، قَدْ هَدّ الكرى حيلة السُّبات..وقَدّ قميص الغفوة الأنيق، وقت أغراه بوجبةٍ من نجماتٍ وأرق.

وقصداً!...

تتسلل كلثوم من تحت دخان الليل كجنيّة من رماد .. تَرشي حرّاس القلق كي يغسلوا جبين الكون بماء اليقظة.. وزلزال صوتها يهزّ طبقات الليل ، ويصبّ في أوردة السكون سموم الأرق ،فتتتالى على الروح موجات الهيام، والجوى يقلّبنا بين أصابعه لهفة وحنين.

و...عمداً..

تتأنّق هديلاً فوق أعشاش الروح..وتتنعّم أهازيج شوقٍ تتلو أعراف الغرام على سكّان الليل..تصهل حوريات الشجن في صدرها بـ "أقبل الليل ".." أقبل الليل يا حبيبي.."

أقبل الليل!..

أقبل؛فانشقّ صدر الوله فيّ عن كارثة اشتياقٍ ومصيبة ذكرى..

وسيّدة الغرام ما انفكّت تقضم حلوى اتزاني قطعة قطعة.. ومشعوذة الأوهام تتحالف معها ،تقاتل جيوش صبري..تخطّ بسبابة التوق وثيقة الضياع..فيغدو كل كل شيء تائه في بهو اندلاقاتها،ولا شيء يبدو غير ليل محشوّ بالتَوق بالحب بالحنين بالذكرى بالضياع بالأرق..

و..أرتحلُ أنا!..

أرتحل عبر سلالم الدُجى اليه، افتّش عنه في خوابي الليل الذي أقبل ،فلربما كان في ضواحيه نجمة، أو في اتساعه شهاباً ،أو في سَمَرِهِ بدرا.. والحلم يوشوش ليَ أنّ ما بعد خطوتين من ضياءٍ سيكون اللقاء.

فـ أنتظر..و..أنتظر..

ويَجلدني عمى الليل..

وتزّفني كلثوم للصَّبر وليمة صمود ،ويؤرجحني النغم على خيوط الأمل وحبال الكلام..ومنديل لهفتي يبتلّ ويبتلّ ويغرق بالمزيد من العرق ،وجسد الليل يتضخّم ويتضخّم..يرفع سبّابته متوعدا بالتلاشي ،والنجمات تلملم شملها ، والبدر يستعدّ للسفر..

وأنا!..

لا زلت أتوسّلُ الليل أن يدُلّني عليه، والى البدر أن يأخذني اليه.. أناديه علّه يأتيني وهماً أو حلما ،طائرا أو فراشاً مبثوثاً في سَماوات روحي..أو كُحلاً من آثار الليل معلّقاً في أحداق فرحي...

وتراهنني الساعات!..

ويكبر اللحن..والشوق أكبر..

وأنا أحتسي في الهزيع الأخير من صحوتي مخلوط الأشجان ، وأتجرّع مدامع قلبي ،وأرشي الانتظار كي ينتظر..

وتبقى أمنية اللقاء معلّقة في كفّ الليل الذي يمضي، وفي طبقات صوتها الذي يضمحلّ..والقلق يحصد سوسناتي الغضّة ،وسيّد الروح ما زال في حلبات المجهول يلهو، وخلف أسوار الغياب يُقيم.

فـ أووواه يا ليلي أنا!...

وحنانيكِ سيدة السَّمر!..

وآهٍ من ليلٍ قد أقبل بارداً في صوتكِ...

وما جدواه إن أقبل هذا الليل أو أدبر...؟!

ما جدواه.. والغائب الحاضر يصبغ متعمّدا ثوب اللقاء بألوان السَّواد..ويرسمني بمداد التجاهل خيالاً من سراب ، ويكتبني غريبة قد انشقّت من ضباب؟!

فليتَ سيّد الروح يجيء قبل أن يرحل الليل بالحبّ..بالوهج بالجمال، بالشباب...

ليتهُ يجيء قبل التلاشي ، قبل أن يرحل الحب والعمر والشباب.

ليتَهُ يا ليل..

ليت...



حسيبك للزمن !

حسيبك للزمن !

جيوش الليل تهدِم خيام الشّفق...

والسَّمر يُعبّئ زجاجات السُّهاد.....

وجموح غوايةٍ تسبح في عيون النجم..

تقود نكبة شجنٍ تجتاح أفئدة التوق الرَّهيفة...

و...خمرغزلٍ ينسكب من حنجرةٍ رخيمةٍ مزدحمة الأشواق ،تُذيع سرّ الهوى في بقاعٍ من حنين.. وتتوعد القانتين في ليلها بالموت شنقاً بوصلات لحنٍ شرقيّة.

و..أنا..!

وكوكبها المتّقد بلا ضياء، وجبين ذكرى يتفصّد مجهدا..وعذارى سُمّ تدسّ الموت في الأوصال، وقطع من الليل الأسود تحطّ على أكتافنا بحكايا زمان،وبقصيدٍ كمراثي القتيل وقت شيوع الخبر...كلّنا..!

كلّنا لمدقعِ صبرٍ في مراثيها نرنو، وفي رؤاها نستَقصي بعضُ خبر.

مُرهقةٌ أنا..!

ومدّ الحنين لا جَزر له..

قد أعياني لملمة أوصالي من منثور ليلتها

فثمّة شوق في صوتها كحزن الناي يبكيني..

وثمّة موّال في اللحن يهجوني...

وقاضي الغرام المصلوب في أوتارها يبُثّني "حَسيبك للزمن" ، يُذكّرني بقضايا وحِساب.. ومارد الماضي يُهدّد بالظهور، يُزجي بي نحو قمقمه المظلم..يشاغبني بعطرٍ ممزوج بطلاسمٍ وبخور .

و..الليل محض اشتعال..

و سيدة الوجع ما انفكّت تنوح بقصص الوجد مبتورة الإخلاص..وتغني لعذارى الحبّ مواويل العتاب..
، وتُحيي فتاوى الظلم والهجران والعِقاب ، فكانت "حسيبك للزمن" فتنة وشهقة ونار.

و..أبقى!

ومن على بعد رجاءٍ ودعوتين..أبقى ..!

أبقى المتبوّئة دار الإعتكاف ما بين مشرق المَضيّ ومغرب الرجوع ..أسعى ما بين نكوصٍ وحنين..وهجعة في الخاطر تطلبني السكون...فلله!

لله كم هو قدّيس هذا الليل، ملائكيّ العفاف..يراودني عن صحوةٍ واستفاقة ، يطلبني دعوة ومشكاة نور وبعض يقين..حيث في ليلها لا ظلّ ولا ظليل إلاّ دعوة بحُسن انقضاءٍ وإشراقة صباحٍ..فكم!

كم أتوق لسِنَة تَقيني شر مذاق الفتنة الممزوج في كأس لحنها الآسر ..وكم أتمنى رجفة ضوءٍ سَمحاء تعكس بصر الليل بعيدا عني في مرآة الفراغ..

فمن..!

من دلّكِ يا كلثوم على وجعي...ومن نصّبكِ قاضيا على خافقي الحرير...

ومن جعلني لصوتكِ بعد النشور صيدا سَمين...؟!

و.. من يا شيطان الحِساب سيُرقِني في ليلتي من وسواسكَ ودعوى الإنتقام؟

فاستقِم رجوتكَ يا قلبي..

وتبرّأ من جرم الحنين وناعم الحديث ورقيق الشجن ، ومزّق رواية السَّراب..وكفّ عن تعاطي نشوة حبٍ ما كان يوما سوى محض عذاب.

فـ لطفاً سيدة الحِساب...!

لا تستدعي نبضاتي التي هاجرت يوما اليه...ولا تفرشي بساط الوداد كي أطير اليه..دعيني..وبلا عِتاب بلا تحريضٍ أو شجن...

فلقد اعتزلت الندم..وتبرّأتُ من رغبة العقاب..

واعتكفتُ في محراب الصابرين ؛

وأفَضتُ لليلة قيامٍ مختومة بركعة شكرٍ وسجدتين.

فاشهدي يا سيدة الوداد أني قد أسلّمت لله حزني ، وتركت الحساب للزمن وأني قد عَفوتُ عند مقدرتي عليه...

فارتقبي..ولترقبون:

لمن الغلبة اليوم...؟!

لمن الغلبة اليوم يا كلثوم؟!



هجرتك !

هجرتك !

ليلي طويل طويل...طويل...

وفوضايَ لا مشيئة لجمعها....

وزائرة الهوى تستشري بأوصالي....

وأنا..... وصوت الآه ، ولا طارق خير يطرقنا...

لا شيء سوايَ ..و...وكلثوم وصخب المقال عبر"هجرتك" يصفعني .. قد أقعد الألم ذائقة الجمال فشلّت...وأعيا حيلة الذكرى فَتَشَتّتتَ ..وعاند انسكابات الرقّة فتعسرت..فكلما باحت بوجعٍ تلاه الأشدّ منه وجعا...

و...أنا!..

أنا المدعوّة لحفلٍ لا معلومٍ ....تراودني حروب الليل عن شمسي...تَزاوَر عن يميني وعن شمالي قد تكور يأسي..أعتكف في رقيم صبرٍ لا فسحة له.. أستخلص من تسابيح الليل حاجتي للاطمئنان ...غير أني الوحيدة البائسة الأشقى..وأبقى:

أبقى من على جرف محيطات اللحون أصارع موجات نغمٍ ترهقني...

اقاوم السقوط غرقا...وأُلقي لنوارس الكلمات بخطاب همّي علّها بهمّيَ ترتحل.. وأقتفي من على شرفات السَّديم شهقة الوصال كأرِقٍ أعيته حيلة السهاد فأضرم في الجفنين نارا طمعا بحظوةٍ من رقود ....

و....يمتدّ ليلي ..يمتدّ ولعنة " الهجر" ما انفكّت تُطاردني.. كطلاسم شيطانيّة تتلبسني قَصدا ، تَنفث عليّ من صنوف الشتات عُقدا ..قد أذِنَتْ بالقطيعة مَددا ...وأدلتْ باستحقاقات الخَراب أمدا..

وكلثوم..لا زالت تحتسيني بنَهَمٍ،وتبتلِعني بغرور...

فــ حسبكِ يا كلثوم بي شغبا..

أتحسبين باني سأنتشي لرقصة العود..أو أني سأطرب إذا ما تمايل اللحن أو غنّى الوتر، أو أني سأسقط إذا ما أسكرتني خَمرة الغناء..أو ...أني سأصدّق وشاية الهجران فأقترف البكاء.. كلاّ؟

كلا !...

فكاذبة هي نبوءة أني قد "هجرتك يمكن انسى هواك"...كاذبة وأكثر...فــ والذي ألقى على النفس أمر محبتك فأطاعت أني ما نسيتُك أبدا..وأني قد أحببتُك صدقا يقينا...ورَشَدا !...

أحببتك ...وبيضُ نواياي يشهد فاسأل نواياكَ عني...أحببتك وجنود أرواحنا تدري فاسألها عن حالي وعني..أحببتكَ رغم وعودك المثقوبة التحقيق ، أحببتك اليوم وما بعده وغدا.. والآن...الآن أكثر...

فدعيني..دعيني يا كلثوم وهمّي...

ولتنقشع رجوتك يا ليل عن صبحٍ مُستساغ النظرة.. فأوصال خَفوقي قد غدت كليلة مرهقة، مرهقة....غير أن كلثوم لم تكلّ وما توقف زحف الليل خُرم إبرة..

وقبل موعد موتيَ هَجراً برحلتَين وخطوة وجدتُني!..

وجدتني أقف على قارعة الحقيقة وأُدلي بشهادتي الكبرى:

فأنا امرأة لا تهجر أو تغدر ، قد نصّبها الإخلاص على إمارة حبّك حارسة لا تُقهر ...وما فارقتُكَ بأمري..فأنا المكرهة التي ارتضَتْ ما كان منك قدَرا ...غير أنك من سعى للقطيعة للهجران مُقتدرا......أنت من سعى اليها مُقتدرا...

فتمادى بالهجران ما أمكنك...ولتبقِ رصيدكَ مترعٌ بالقطيعة ..ووعدك مبتور مثلوم ، مذموم عبوس مكتظّ بالقنوط...وابنِ إن شئتَ بيننا سورا من العقبات....فأنا... أنا ما اعتنقتُ الإلحاد بك أبدا...ولن أُشركَ بحبك أحدا ...لا..لن أُشرك بحبك رغم القطيعة أبدا...

فاهجر طويلا أو ارحل بإثمكَ وابتعد...

فمن أي طريق قد سلكتَ لله قد أودعتُكَ...

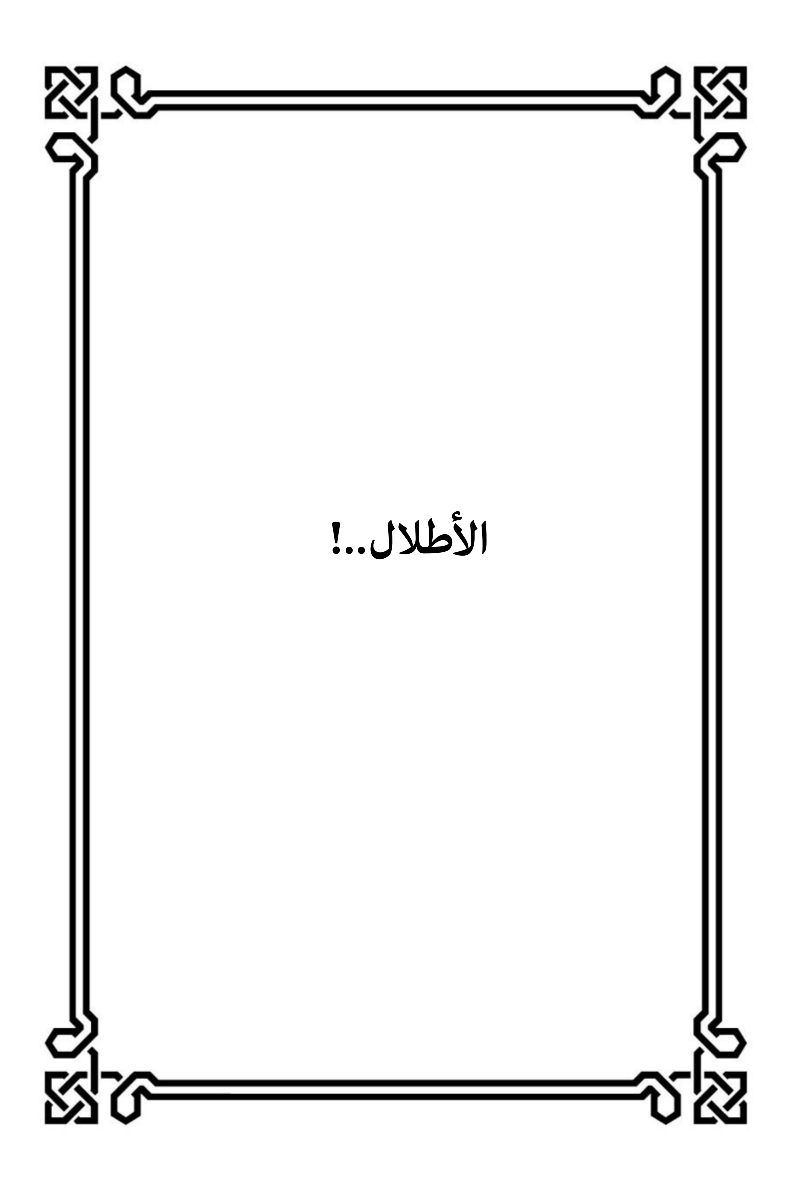
ولضميركَ قد استودعتُكَ...

ولوفائِكَ قد أسلمتُكَ....

فهنيئا لكَ حريتكَ وبالعذاب والأنين..

بالعذاب...بالرُفات والحنين...

بالرُفات والحنين....



الأطلال..!

الأطلال..!

ليلي صبيانيّ الشّقاوة..

والفجر خمسينيّ النضوج...

وأنا بينهما من الراسخين في الأوهام..

قد أرّقني السَّعي بين طلاسم الحظّ ومشيئة القدر..

وفتنة كلثوميّة حوليَ تَسعى بكواثر التمنّي وأقداح السَّمر ،وبذكرى أطلالنا الشائخات.

و..شاسعات الحيرة قد أنهكها تجنّي العتمة على قناديل الوصال..تلملم الضيّ المُراق شتاتا على قارعات العمر السَّحيق..

و.. الباقيات النحيلات مني تردّد أوراد الماضي نجوىً وغرام... ونافخات الصّبابة تبعثني من سَنا أيامي ذؤابة نارٍ حاتميّة التكاثر...وكلما قبّلتُ أطراف صَبري ارتدّ اليّ حالي وقد أرمد.

في غروبها كآبة تهدّل ملامح الشفق الأنيق.. وفي مسائِها تشتدّ نكبة التوق العجوز..¬وصباحاتها آيات نفور تتلو التجنّي على طِيب الندى وزقزقة الطير واللحن الفيروزيّ الرقيق..وكلّها!..

كلها تفجّر فيّ رغبة العبور الى حيث هناك..هناك ..حيث أطلال المكان وفسحات ذيّاكَ الزمان...

فـــ يا هناك!...

خافت قصيد الدّم في شراييني ..متجلّط بأكوام ولهٍ مستطير ..معقود بناصية الشَّتات، وبحديث كلثوميّ مكتظّ بكل ما قد خلا وكان وفات..

فكفّ يا ذاك اللحن المخادع عن استدعاء أحاسيسي الغارقة في الأزل..والتحالف مع قاتلي ؛الزمن الجميل .

غير ان فتنة اللحن السقيم تشتدّ وتشتدّ..

وتشتدّ تحت ذوائبه لواعجي سَعيرا ، تتلظّى تحت صوتها المدّاح ورضاب التلاحين ودبابيس الكلام...

وتجرجرُني كاهنة السَّهر...وتستحضِرني طقوسا من معجزات ..فأعمى عنّي إلاّها واللحن وأطلالنا الشاخِصات...وأنسى ذاتي إلاّها وأيامنا الخاليات..وأبقى خاوية الا من بقايا ورفات ،حيث رئة عنفواني مثقوبة الأنفاس منكوبة النشيد.

وكلثوم تُدرك ما الخبر!..

وتحتطبني.. تحتطبني لأطلالها سهادا ولأعوامها انبعاثا ولأشواقها آآآآهاً.

وتقتسمني..تقتسمني للسُكارى خمرا وعنبر ،وللعاشقين حلما وعبهر ، وللعطاشى سُقيا وكوثر،وللحزانى ملتجأ ومعبر..

و.. وأبقى!

تلك الموصولة بأطلالِنا كَبدا..على سهول الحنين قد افترشتُ اصفرار البقاء..وعلى رجع الصَّدى من أنفاس من رحلوا أتلوني صريرا وزمهرير شتاء ..

فلّله يا ذاك العناء!...

فــكم من غناء قد وشى؟!

وكم من لحن قد قتل؟!

وكم من أصيل يستدرّ المساءات ذكرىً وعذاباتٍ أُخَر... ؟!

وسيدة الأطلال!

ما انفكّت تشدّ وثاقنا لداليةٍ من طلع الذكريات ،جذورها ضاربة في خلايا البقاء وآفاقها في علياء الشتات، تنقش بحنّاءٍ مستبدّ اللون خطوط الزمان والمكان طولاً وعرضا..تعزفنا على وتريّاتٍ مخادعة متهالكة كأنها الطينِ المحموم....فتنطلق طيور الأيك المغرّدات في دمي ، ويتمرّدن الشجون ..ويتمنّعن صبايا الصبر عن الرأفة...

والماضيات سُقيا عذاب...

والمبشّرات في إثرها سراب...

و بربريّ حضورها!..

ينفخ الريح الجسور في رحمي العقيم...فيتلوّى سَعيري بولادة متعسّرة وشيكة ،لوليد توقٍ استهلّ يبحث في شروقي عن مقامٍ له بين أشياء الضياع..وفي ضُحايَ عن"حبيب ساحر فيه عزّ ودلال وحياء" .. وفي غروبي عن أحلام الصبابة والمساء...ولا زلت انتظر نفحاً سماويا يهديني الخلاص..

فــ يا فؤادي!

"لا تَسل أين الهوى"

ولا تبحث في وصالها عنه وعني...

فــ ما نفعه الشجن ما نفع التمنّي..؟

وما نفعه ان يؤرّخنا القصيد أغنيات...أو يسطرنا الغياب أحجياتٍ بعدما "عزّ اللقاء ومضى كلّ الى غايته" وما فات فات؟!

فــ لتقرّي يا أنا بمشيئة القدر،ولتعلمي بأن " كل شيء بقضاء ما بأيدينا خلقنا ضعفاء.."

ولتسامحينا أيتها الأطلال النائحات ، المعلّقات بأكبادنا جوىً..

قد مضينا دون أن نشأ ، إنما الحق شاااء

"ان الحقّ شاااء..."

"ان الحقّ شاااااااااااء."



من أجل عينيك عشقتُ الهوى !

من أجل عينيك عشقتُ الهوى !

جنونكَ فيَ دمي فَتوى...

قد سَرى فيّ فرضا فاستوى..

حتى عشقتكَ طوعا ،وعشقتُ من أجل عينيكَ الهوى؛ كل الهوى..

كبرتُ بالعشق حتى ابتلع الهوى قدّي،

واغتال الشوق حُسن تدبّري..وبدّد التوق اتزاني...

عشقتك حتى تماثلتُ للختام،ونحل الجسد وهوى...

ولا زال حبكَ يعدني بالبلاء ..

بأمر حبّكَ قد ائتمرت ، ولا زلتُ أختلق لك من أغنيات الولهِ ألف ترنيمة عشقٍ غزليّة ،

وأُدلي بشهادة الف حرفٍ جميل..حتى أحللتُكَ مساءءات السَّمر ،

وبوّأتك دار المقام في نايات روحي كما في بوح سيّدة الغناء حبيبا عَبق السّحر شهيّ الكبرياء..

لحبكَ هيبة وصهيل...

ولهواكَ ريح غَيور تَئِنُّ في بَراح رُبعيَ الخالي الاّ منك ..

ورغم كل ما مضى وانقضى لا زلتَ تَسكنني رغبة واقتناع..

فهلاّ أصلحتَ ذات بين أرواحنا واهتديت...؟

فـ أيها المبثوثُ فيّ رغبة وهَيام..!

روحي تُقرؤك الوداد وتُخبرك بأني قد عشقتكَ والسَّلام...

فمنذ البَطشة الأولى قد أسلمتُ لك رايتي وللهوى؛ كل الهوى..

و أحللتُ فيك جِناية الهوى ؛ كل الهوى.. فكان ما كان من أمر الهوى..

فافعل بحبّي ما تشاء ، فالحنين بالحنين والعشق بالعشق والصّادق بكلها أدرى....

يا من انتَ بدئي والختام..

كلّي يعشقك والسلام..

يا سِرّي المقيم في قراريَ المَكين..

يا عربدة الحبّ الممدّد بلا استحياء على أسرّة أوصالي...

يا من بوّأتهُ دار المستقرّ في عينيّ تعال ..

فبعضي حُمى تَستعر وكلي ذائبٌ في صَبابتك..

فلا تَذرني في احتراقاتي وحيدة كفتيلٍ أعياه التَبصّر في خيالات الليل وأرجحات الأنين....

ولُذ بي أميرةً في قصر حكايات ألف ليلة وليلة ، ولا تَبخس الرّوح ما قدّمت..

فلقد تأبّطتُكَ إرادةً ولم يَعتريني في رؤيايَ فيكَ وباء..

يا قيس حبّي وجنون ليلاي!

إني ارتأيتُكَ خياراً لا رَجعة فيه ..

ولسواكَ ما خَفق الوداد...

فترفّق بأمانيّ التي ما اختارت إلاّكَ تحقيق..

وتقبّل عذر قرار سَرياني في أوردتكَ قضاءا لا رآدّ له..

ولا تسألني لمَ آثرتُ لعينيكَ الرَّحيل.. فلقد قُضيَ الأمرُ وأفتى القلب بالذي يَرى..

فمن أجلها قد عشقتُ الحبّ والحياة والهوى؛ كل الهوى

من اجل عينيكَ عشقتُ الهوى؛ كل الهوى

من أجل عينيكَ عشقتُ الهوى.



هذه ليلتي..!

هذه ليلتي..!

ولمّا ضلّ في الهوى اليه سَعْي وأصاب طرف الصَّبر مني خدش فالتوى..!

رحتُ أجادلُني على النسيان، أُعنّفني بقوّة، وأنصَحني بقوّة،

حتى اختلط الحابل بالنابل وأُصبتُ بنوبةٍ كتلك التي تُصيب بالجنون أهل الهوى والبَين والنَوى.

حاولتُ أن أكون ممتنّة للنسيان غير أني لم أُطاوعُني..

فكلما أطفأ الكون نوره وأشعل فيّ نيران الجوى رحت أبحث عنه،

أجوب أطراف الليل ومدائن الأنين ،أدورُ في زِقاق الروح وبين مجاهل الأوصال ،

أشذّب أطراف النأي وأعارك وحوش المستحيل كي ألتقيه تحت جنح ليلنا والهوى .

وفعلاً !..

فعلا كنت وفي كل ليلة ألتقيه ،حين تستقيم الساعة على منتصف الذكرى بالضبط .. حيث صدق فيه ؛ في قوة الحبّ حَدسي والهوى..

أرأيتِ أيتها النفس الأمّارة بالنسيان بالظنون بالقطيعة والنَوى... هو لم يغادرني..هو يسكنني.. يجوب في خيالاتي ويمرح.. فسُحقا لكل المغرضين الظآنين به ظنّ السُّوء.

هذه ليلتي مذ افترقنا وكل ليلتي!...

فكلما أقبل الليل تقودني رائحة الحبّ العتيق الى حيث هو..

فأشعِل الشَّمع وأنظِّفُ شارع اللقاء من حجارته الثقيلة التي تسدّ منافذ الوصول ، وابحث رغم أنف العتمة عن بقعة ضوء آمنة نُقيم عليها احتفالنا،

وأبقى أنتظر الى أن نلتقي لنغنّي ونعزف وصلات عشقنا..

ونتجرّعُ نَخب وصلِنا..فأبتسمُ وأنا أرى بأمّ لوعتي خيالاتنا وهي ترسمنا رقصا على الجدران الخالية ، فأرتضى بأصغر حجم تُرسله ليَ الظِلال أقِم به صُلبي حتى لقاء الليلة القابلة..

وتبقى هذه ليلتي وكل ليلتي...

وتبقى تلك طقوسي..وتبقى رغم أنف النفس الأمّارة بالنسيان هذه ليلتي...

وأبقى احمل قلبا طاعنا في الحبّ ..وخيالا طاعنا في الجنون..وإرادة طاعنة في التحدي

فأووواه يا ليل النَّوى!....

أوواه يا أنا ..فلستُ أدري أهو جنون عامّة أهل الهوى قد أصابني..

أم حالة خاصّة توجِبُ الطبّ والدواء؟ !

فما ذنبي وكل هذا العِراك الليليّ يا روح الأنا..؟!

ما ذنبي أيها الطاعن في النسيان في الهجران في النكران ما ذنبي أنا ..؟!

ما ذنبي وذنب ليلتي يا روح الأنا..؟

ما ذنبي لتقف دنيايَ معك بين ماضٍ من الزمان وآت؟

ما ذنبي لتحاصرني،لتخنقني ،تسجنني بين قوسين من (حلم) يا حلم حياتي وليلتي أنا...؟!



ودارت الأيام..!

ودارت الأيام..!

كلي مع كلي يعترك...

وبعضي انتِثار....

ثورة ماضٍ وأكوام من الزّفرات وثرثراتٍ شتّى تسلبني مني وتُلقِ بي هناك،، هناك هناك ..

الى ما قبل مولد الإخفاق في رحم سنواتي بسنوات.

تجنحُ بيَ الذّكريات نحو اللاسلام...توقظ جدب أزمنتي ،وتُزجي بي حيث أيامي الخاليات.

وتدور الأيام وتدور..

ويخرّ وجه الحاضِر باكياً وقت تهبّ عليه من عَين الماضي الحَمِئة سُخونة مُمرِضة..

تَذرهُ ذابل القَسمات وتَرِثُ مفاصل الأيام إعياء وسَقم.

تَهجوني قريحة الفرح وقت تأخذني تفاصيل أمسي المعلّق على مشاجِب مُخيلتي الى حيث القضاء اللامَردّ له...

يلوكُني الماضي لحماً مُستساغُ النّميمة ..

وغرغرة المَرارِ تَعبثُ بلُهاتي وتَسحق من مَلذّاتي طعم الحياة.

تَعبت!..

تعبتُ من دوران الأيام حول كعبة ذاتي باحتراف..

تعبتُ من جَشع الفرح ومن المَبيت في عراء السَّغب وجحيم الذكريات.

فـ كم بقي من مدىً بيني وبين عوالم الخلاص وهِبة الإنسلاخ من رحم ما خَلا وفات ..؟

فهل سيوقفُ التنكُّر لكل ما خَطر وعَبر لُعبة الدّوران.. ؟

وهل سيُداوي النّسِيان جُرم اغترافي لماء تكويني من آبارٍ آسنةٍ أثرية الزّمان والمكان ..؟

كم ترهقني لعبة الأيام وهي تدور وتدور لتطحن ما تبقّ في صَومعتي من اتّزان ،

فهل باتَ¬ التخلّي عن فوضايَ وانتحال السُّكون واللّجوءِ الى مَضارب القَرار زور وبُهتان..؟

أم كان من الكفر أن أعتنق بَينَة أمري؟ وأن أُجدّد عهود الرّوح مثلما استوجب واتُفِق.

أم عار على عمري إن اكتَحلَ بضياء يليقُ بسِيادتِه.. ؟!

وماذا يضُرّ لو تَبرّأتُ من عِراك الأنا والأنتَ والأشياء والأحياء والأشباه....؟

فكُفيّ يا سيّدة الشَّجن عن زجّ ذاتي في سجون اشتهائاتي، وفَتوى عِشق الحَيارى المظلومين... ولا ترمِ بي بين احتمالات الأماني ومُوجبات الجنون ..فرنّاتُ الخلاخل في صَدى صوتكِ لا زالت تُقدّمني قُربانا لآلهة الضَّياع .

فـ يا أنا التي ما انفكّت تَلوكُ الحنين وتُعيد:

كوني لأكون...

فلقد قرّرتُ أن أُطلق طيور قَيدي في فضاءات الله ..

ارتديتُ ثوب القرار، ورسمتُ خارطةً لسِرب أيامي السَّعيدة..

وسأُعيد جدولة أحلامي بمنتهى العِناية..

وسأُرتّب مَساقط الوقت اعتماداً على مواعيد الشّروق...

وسأوزّع على أطراف مكاني زوايا الثّبات بمهارةٍ فائقة.

فـ لتدوري يا أيام كيفما تشتهي

فلن أُسلِم السّمع مُجددا لألحان السَّقم...

ولن أكظم جُرحي وألتهم غصّاتي التي تُصيبني بِعُسر حياة

فلقد أدركتُ حاجتي للبقاء، وحقّي في مُتسع الأمل..

وكبرتُ..كبرتُ حتى غدوت ثابتة القَدم والمَقام..

ومهما دارت الأيام سأبقى أنا..

أنا..من أبصرت سراطها فاستقامت...

أنا....تلك العائدة مني اليّ..

والتي لها في كل يومٍ خَلقٌ جديدٌ وشأن وحياة...



ليلة حبّ !

ليلة حبّ !

الشَّمسُ تمنحُ بقايا شموعها لمجاعة الأصيل..

ومآذن الغروب تَشي بقشعريرةٍ من إثر الخشوع..

والرهبةُ ترتجفُ رجاءا على أرجوحة الشفق العتيق

و.. القمر يستعدّ لمخاض التجلّي ودّاً لأهل الأرض ،

برفيفٍ مرهفٍ يُعاند قطع الليلة الدَّهماء..

والكون ؛ كل الكون بلفحٍ من رَهجِ الدَّيجورِ يتبرّج.

الاّ أنا! ..

وغيلانُ قلقي..

وليل يَسرح شلاّلا على جَسدي النحيل..

نغسل وجه الحلم بماء التمني ، ونتنعّم بخيبة كحلنا الأسود..

نحوم في تخومٍ من فراغ ..

نتتبّعُ بفِراسة الغريق آثار تنهيدةٍ مدّت سَناها على ربوعنا القِفار ؛

غير ان اللّكنة مسمومة الحيلة..تُمهّدُ لزوبعةٍ من حكايا التَّوقِ النائم ...

وتوحي بليلٍ يَعجُّ بقادحاتِ التَّوق العظيم ،

و بـــ " ليلة حبٍّ " كألف ليلة وجعٍ وليلة.

ولا تستسلم سميرة الليل للصَّواري..

و..تجتهدُ..

تجتهدُ بسكب فوضاها الّلبِقِ شراباً سائِغا لكلِّ ذي مَشربٍ

بفِكَرٍ مليحة اللّفظِ ،

وبونّةٍ غنيّة العذوبة ...

وعربدة صاخبة تعبثُ مَساسا بخميرة الصَّمتِ ..

تغزل الحَكايا شهقة في إثر شهقة ،

فيمسّني من رذاذ الذكرياتِ لفحٌ باردٌ كأنسام الرِّقّة ، جارفُ التِّيهِ عبقريٌّ الإحساس ...

في دملُجّهِ رجفة تبعث فيّ عذريّة الربيع ،

فتنبتُ من طينتي بذرة سخيّة الهوى ، وتستفيق فيّ طفلة القمح والسنابل

وتحيا حكايات العنب والدُّراقِ وأحلام الكروم...

ويهتف المطر لانعِقادِ التُّويجاتُ على شِفاه انوثتي.

وتاااااااااائهةٌ!..

تائهة على فُجاج الليل أنا..

بين الطين والماء أعتلج..

وعاصفات الشوق كهزيم الرَّعد على المَدى تنطلق..

وليلة حبٍّ ؛ بألف ليلة ولهٍ وليلة على خطوط طولي بلا وعيٍ تستوي

تَضرِمُ النَّار في هشيم وجداني..

ولا سِلمَ لا سلام

وكلثوم لا تَتّقي..

تُقيم في دمي مهرجاناً متجلّط السَّكبِ

تلقي على روحي قصيدة تمتدُّ من الآهِ الى الآه

وتتلو نزاعا من زمن المنافي يصدحُ " بليلة حبٍّ " ويلقي بشطحة كبرياءٍ ملجومة بتعويذة وسواسٍ وخفقة شَتات...

وكلّي يأكل بعضي...

وبعضي يشتكي بعضي...

ووحيدة!..

أُنازلُ جُرم القَصيد..

وحيدة أتلظَّى إذا جَنّ الجَوى وعسعسَ الهوى ،من كف منفىً أعبرُ الى كفّ منفى ..

فلا ملجأ لي مني الاّ لحيرتي

فـــ واحيرتي مني أنا..

وآهٍ منكَ ومن أنا...

فـــــ

يا جنون ليلتي انا..

يا نعيمي وترفي!..

أحتاجكَ أنا...

أحتاجك حلما يَصدقُ التَّحقيق..

قد أرهقني لاوجودكَ صعودا

فدع عصير الفرح يتساقط بهدوءٍ في كأس الرجوع

واعطني اللّحنَ لأغنّي في " ليلة الحب " أشواق السَّمر

فإني قد خبّأتُ لك نجماتي التي غفِل عنها ليل الكهولةِ

ببريق مجنون الدَّلال...

فــ كل قوافل ودادي مسيّرة اليك

فنصّبني يا أنايَ روحا ملائكيّة اللّهفة

واتخذني مليكة "لليلة حبٍّ" حلوة التمنّي

اجعلني "الأولى في الغـرام"

يَكُنْ أول الغَيثِ" هـــواك. "



الفهرس

الفهرس....